

على مائدة العفيدة

١٤

الْخَاتِمَةُ

فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ

وَالْعَقْلِ الصَّحِيحِ

رِسَالَهُ مُوجَّهَةً وَتَحْتَ مِنْ أَدْنَى خَاتَمِهِ

وَحُجِبَ عَلَى الْأَسْنَانِ الْمَطْرُوحَةِ

جَعْفَرُ السَّخَّانِي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾
الأحزاب / ٤٠

روى جابر عن النبي ﷺ: مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا
فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعًا فَجَعَلَ النَّاسَ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا،
وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعٌ هَذِهِ اللَّبِئَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِئَةِ
جَنَّتْ فَخَنَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ

الناج ٣: ٢٢ هـ خلا عن البخاري ومسلم والترمذي



الْجَنَائِمِيَّةُ

فِي الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ

وَالْعُقُلِ الصَّاهِغَةِ

وَسَالَهُ مُوجِزُهُ يُنَبِّئُ عَنْ آدِلَةِ الْخَائِمِيَّةِ

وَيُنَبِّئُ عَلَى الْأَسْئَلَةِ الْمَطْرُوحَةِ

جَعْفَرُ التَّبَّخَانِي



مکتبہ اسلامیہ
لاہور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه وحده نستعين وعليه وحده نتوكل

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد رُسُلِهِ،
وخاتم أنبيائه وآله ومن سار على خطاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم
الدين.

يهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعقيدة الصحيحة لأنها تشكّل
حجر الزاوية في سلوكهم ومنازاً يضيء دروبهم وزاداً لمعادهم.

ولهذا كرّس رسولُ الله ﷺ في الفترة المكيّة من حياته
الرسالية نفسه لإرساء أسس التوحيد الخالص، ومكافحة الشرك
والوثنية، ثم بنى عليها في الفترة المدنية صرح النظام الأخلاقي
والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

ولهذا - ونظراً للحاجة المتزايدة - رأينا أن نقدّم للأمة
الإسلامية الكريمة دراسات عقائدية عابرة مستمدّة من كتاب الله
العزیز، والسنة الشريفة الصحيحة، والعقل السليم، وما اتفق عليه
علماء الأمة الكرام، والله الموفق.

معاونيّة التعليم والبحوث الإسلامية



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

تقديم

ملايح الشريعة الإسلامية

تمتاز الشريعة الإسلامية بنقطتين رئيسيتين:

الأولى: عالميتها وشموليتها.

الثانية: كونها خاتمة الشرائع.

أمّا الأولى: فمعناها أنّ دعوتها عالمية لا تنحصر بإقليم معين وهي من أبرز الملامح التي يستهدفها القرآن في دعوته ورسالته.

يقول سبحانه: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (الفرقان/١).

ويقول أيضاً: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سبا/٢٨).

وقال سبحانه: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً...﴾ (الأعراف/١٥٨).

لقد بعث الرسول الأعظم ﷺ سفراءه إلى أنحاء المعمورة لنشر دعوته فيها ويبد كل واحد منهم كتاب يعبر عن عالمية دعوته، فقد بعث إلى قيصر الروم، وكسرى فارس وعظيم القبط وملك الحبشة، والحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام وحوزة بن علي الحنفي ملك اليمامة، وغيرهم من ملوك العرب وشيوخ القبائل والأساقفة، والرازية، والعمال، وهذه الموائيق أوضح دليل على أن رسالته عالمية لا تحدد بمحد، بل تجعل الأرض كلها ساحة لإشاعة دينه وتطبيق شريعته.

هذا والبراهين على عالمية دعوته كثيرة لا مجال لذكرها.

نعم ربما قد تظهر بعض المغالطات من النصارى القدامسى في هذه النقطة؛ حيث حاولوا تحجيم أمر الرسالة وتخصيصها بمكان وعنصر خاصين، وليست شبهاتهم قابلة للذكر.

كيف وبيانات القرآن وخطاباته للبشر كافة وموائيق الرسول ودعوته المتجاوزة حدود الجزيرة العربية، واجتياح جسيوش

المسلمين ورجالهم أرض غير العرب واستقرار الأمة الإسلامية في أكثر مناطق المعمورة بل معظمها يومذاك، أبطلت هذه المغالطات وجعلتها في مدحرة البطلان ولذلك نعود إلى الملمح الثاني من ملاحم الشريعة الإسلامية، في بحثنا وهو خاتمتها تعني:

أنها آخر الشرائع وأن المبعوث بها، هو خاتم الأنبياء فشريعته خاتمة الشرائع، وهذا ما نحاول دراسته في هذه الرسالة ونستدل عليه عن طريق الكتاب والسنة ونحلل الإشكالات المثارة حوله كل ذلك في ضمن فصول.

الفصل الأول

الخاتمة في الذكر الحكيم

اتفقت الأمة الإسلامية - عن بكرة أبيها - على أن نبيهم محمداً خاتم النبيين، وأن دينه خاتم الأديان، وكتابه خاتم الكتب والصحف، فهو ﷺ آخر السفراء الإلهيين، أوصد به باب الرسالة والنبوة، وغُثمت به رسالة السماء إلى الأرض.

لقد اتفق المسلمون كافة على أن دين نبيهم، دين الله الأبدى، وكتابه، كتاب الله الخالد ودستوره الذي لا يأبىه الباطل من بين يديه ولا من بعده وقد أنهى الله إليه كل تشريع وأودع فيه أصول كل رقي، وأماط به كل سعادة ورخاء، فاكتملت بديده وكتابه

«شرائع السماوية التي هي رسالة السماء إلى الأرض».

توضحه: أن الشريعة الإلهية الحقّة التي أنزلها الله تعالى إلى أول سفرائه لا تقترق جوهرًا عمّا أنزل على آخرهم، بل كانت الشريعة السماوية في بدء أمرها كنواة قابلة للنموّ والشو، فأخذت تنمو وتستكمل عبر القرون والأجيال، حسب تطوّر الزمان وتكامل الأمم، وتسرب الحفاصة إلى عقولهم، وتسلك الحضارة إلى حياتهم.

ويفصح عمّا ذكرنا قوله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...﴾ (النور/١٣) فقد وصّى نبيّنا محمدًا بما وصّى به نوحًا، من توحيده سبحانه وتزيمه عن الشرك، والذهوة إلى مكارم الأخلاق والتنديد بالمجرّمات الخلقية، والقضاء على أسبابها، إلى غير ذلك ممّا تجده في صحف الأولين والآخرين.

وتجلى تلك الحقيقة الباصرة، أي وحدة الشرائع لسماوية، جوهرًا من مختلف الآيات في شتى المواضع، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران/١٩) وظاهر الآية يعطي أن الدين عند الله - لم يزل ولن يزال - هو الإسلام في طول القرون ولأجيال، ويعاصدها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمْتَعْ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ

صه١٥٠ آل عمران ٨٥. وقال سبحانه في مورد آخر مَخْطَأًا مَزْعَمَةً
لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي ذِمِّي - بطل التوحيد - إبراهيم بايهودية
والتصاريه قال: ﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران ٦٧).

معقوفة الشرائع السماوية في جميع الأدوار والأحوال كانت أمراً
واحداً وهو التسليم في فرائضه وعزائمه وحده.

ولأجل ذلك كتب الرسول إلى فيصر عندما دعاه إلى الإسلام،
قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ، فَمَنْ تَوَلَّى فَوَاقِلْوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١).

وقد أمر سبحانه في آية أخرى رسوله بدعوة معشر اليهود أو
الناس جميعاً إلى اتباع ملة إبراهيم قال سبحانه: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران ٩٥).

وصرح سبحانه بأن كل مبي جاء عقب نبي آخر. كان بصرح
مأنه مصدق بوحود النبي المتقدم عليه وكتابه ودينه. فالمسيح
مصدق لما بين يديه من التوراة ومحمد ﷺ مصدق لما بين يديه من
نكتب وكتابه مهيمن عليه. كما قال سبحانه: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ

يعيسى ابن مريم مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴿٤٦﴾. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾
 (المائدة ٤٦، ٤٨).

وهذه النصوص كلها تعبر عن وحدة أصول الشريعة
 وجذورها وليابها

وعلى هذه فرسالة السماء إلى الأرض. رساله واحدة في الحقيقة
 مقولة بالتشكيك، متكاملة عبر القرون جاء بها الرسل طوال
 لأجيال وكلهم يحملون إلى المجتمع البشري رسالة واحدة لتصعد
 بهم إلى مدارج الكمال، ويهديهم إلى معالم الهدى ومكارم
 الأخلاق.

نعم كان البشر في أوليات حياتهم يعيشون في عاية البساطة
 والسدجة، لما كانت لهم دولة تسوسهم، ولا يجمع يخدمهم ولا
 ذرائع تربطهم، وكانت أواصر الوحدة ووشائج الارتباط بينهم
 ضعيفة جداً، فلأجل ذلك القصور في العقل، وقلة التقدم، وضعف
 الرقي، كانت تعاليم أنبيائهم، والأحكام المشروعة لهم، طعيفه في
 عاية البساطة، فلما أحدثت الإنسانية بالتقدم والرقي، وكثرت
 المسائل يوماً فيوماً، اتسع نطاق الشريعة واكتملت الأحكام بنو
 هذه الأحوال والتطورات.

هذه الشرائع (مع اختلافها في بعض الفروع والأحكام نظراً إلى الأحوال الأحمية والشؤون الجغرافية) لا تختلف في أصولها ولباسها، بل كلها تهدف إلى أمر واحد، وتسوق المجتمع إلى هدف مفرد، والاختلاف إنما هو في الشريعة والمنهاج لا في المقاصد والغايات كما قال سبحانه: ﴿لِكَلِّمَ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة/٤٨) (١).

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/١٨٧).

وخلاصة القول: أن السنن مختلفة، فالتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة ولكن الديس هو الأصول والعقائد والأحكام التي تسير الفطرة الإنسانية ولا تعالفيها، واحدة منها.

وهاتان الآيتان لا تهدفان إلى اختلاف الشرائع في جميع مواردها، ومواردها اختلافاً كلياً بحيث يكون من النسبة بينها نسبة التباين، كيف وهو سبحانه يأمر نبيّه بالافتداء يهدي أسبانه

(١) أي جعلنا لكل من موسى وعيسى ومحمد ﷺ أو لكل من أمم التوراة والانجيل والقرآن شريعة وطريقاً خاصاً إلى ما هو الهدف الأقصى من بعث الرسل ومهاجاً واصحداً، والاختلاف بين الكتب والشرائع جرمي لا كني، والسبح في بعض الأحكام لا في جميعها

السالعين ويقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفْتِدَةٌ﴾
(الأَنْعَامُ / ٩٠).

بعم حاءت الرسل تمرى، وتواصلت حلقات النبوة في الأدوار
لما صبه إلى أن بعث الله آخر سفرائه فأتم نعمته وأكمل به دينه،
فأصبح المجتمع البشري في ظل دينه الكامل، وكتابه الجامع، غنياً
عن تواصل الرسالة وتعاقب النبوة، وأصبح البشر غير محتاجين
إلى رسال أي رسول بعده، إذ جاء الرسول بأكمل الشرائع وأتقنها
وأجمعها بلحقوق وبكل ما يحتاج إليه البشر في أدوار حياتهم
وأنواع تطوراتهم وفي الوقت نفسه فيها مرونة تنمشى مع جميع
الزمنة والأجيال. من دون أن تحس جوهر الرسالة الأصلي
بتحوير وتصريف. وإليك أدلة خاتمتها من الكتاب أولاً، والسنة
ثانياً، أما لكتاب ففيه نصوص:

النص الأول:

قوله سبحانه ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ
وَحَاتِمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (الأَحْزَابُ / ٤٠)

نوصيح الآية: تبين رسول الله ﷺ زبداً قبل عصر الرسالة
وكانت العرب يُنزلون الأدعياء منزلة الأبناء في أحكام الزواج

والمرث فأراد الله سبحانه أن يشخ تلك السنة الجاهلية، فأمر رسوله أن يرشح زيب زوجة زيد بعد معارفته لها فلما سرّوها رسول الله أوجد ذلك صبحه بين المنافقين والمتوغلين في سرعات الجاهلية ولسانين وراءها، فردّ الله سبحانه مراعمهم بقوله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ من الذين لم يلداهم ومنهم زيد ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ وهو لا يترك ما أمره الله به ﴿وَأَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ﴾ وأخبرهم خُتِمَتْ به النبوة فلا يبي بعده ولا شريعة بعد شريعته، فنبوته بديّة وشريعته باقية إلى يوم الدين.

الخاتم وما يراد منه.

لقد قرئ لفظ الخاتم بوجهين

الأول: بفتح التاء وعليه قراءة عاصم ويكون بمعنى الطابع الذي تختم به الرسائل والمواثيق فكان النبي الأكرم ﷺ باسمه إلى باب لبوه كالطابع، حتم به باب النبوة وأوجد وأعلّق فلا يفتح أبداً.

الثاني بكسر الباء وعليه يكون اسم فاعل أي الذي يختم باب النبوة وعلى كتب الفرائدين فالإيه صريحة على أن باب اسمه أو بعث، لأسياء حتم عجيء النبي الأكرم ﷺ.

قال أبو محمد الدميري.

والخاتم القدح على قُل بالكسر وما به نُختم فتحةً يجري
وَب إذا راحت التفسير المؤلفة منذ المصور الأولى إلى
يومنا هذا يرى أن عامة المفسرين يفسرونها بما ذكرنا ويصرحون
بأن وصفه صلى الله عليه وآله وتشييده بالخاتم (بالفتح) لأنه كان
الرسم الدائر بين العرب هو حتم الرسالات عنانهم الذي بين
أصحابهم، فكانت حواتيمهم طوائفهم فكان النبي الأكرم بين
الأنبياء هو الخاتم حتم به باب البواب، ولك أن تستلهم هذا المعنى
من الآيات الكثيرة التي وردت فيها مادة تلك الكلمة، فتري أن
جميعها يفيد هذا المعنى

كالآيات التالية:

١ - قال سبحانه: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (المطعمين ٢٥)، أي

مختوم بابه بشيء مثل النعم وغيره دليلاً على حلوصه

٢ - وقال سبحانه: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ قُلْتُمْ فَس

الْمُتَابِسُونَ﴾ (المطعمين ٢٦) أي آخر شربه تفوح منه رائحة المسك

٣ - وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾

(يس ٦٥) أي يطبع على أفواههم فتوصد وتكلم أيديهم

إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها مادة تلك الكلمة،

وكلّ يهدف إلى الانتهاء والانتقطاع وفي مورد الآية. إتهاء انبياء
وانقطاعها

النص الثاني:

قوله سبحانه ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيراً﴾ (الفرقان ١٧).

والآية صريحة في أنّ العاية من تنزيل القرآن على عبده (السيّد)
لأعظم ﷺ كون القرآن نذيراً للعالمين من بدء سروله إلى يوم
يبعثون. من غير فرق بين تفرها بالإنس والجن أو اناس
أجمعهم. وإن كان الثاني هو المتعين. فإنّ العالمين في الذكر الحكيم
جاء بهذا المعنى.

قال سبحانه حاكياً عن لسان لوط: ﴿قال إن هؤلاء ضيبي فلا
تفصحوي﴾ وأنقوا الله ولا تحزوني ﴿قالوا أولم ينهك عن العالمين﴾
(الحجر ٦٨-٧٠)

فإنّ المراد من العالمين في كلامهم هم الناس إذ لا معنى لأن
يهويه عن استصافه الجن والملائكة. وظيره قوله سبحانه حاكياً
عن لسان لوط: ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ (الشعراء ١٦٥).
فالمراد من العالمين في كلتا الآيتين هم الناس.

وبذلك يعلم قوة ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام من أن لعالمين عني به الناس وجعل كل واحد عالماً، ولا يعدل عن ذلك بظاهر إلا بقرينه ومما أنه لا قرينة على العدول من الظاهر فيكون معني قوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي نذيراً للناس أجمعهم من يوم نزوه إلى يوم يبعثون.

النص الثالث:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت/ ٤١-٤٢).

وجه الدلالة على الخاتمة، أن المراد من الذكر هو لقرآن بقرينة قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ نُنْزِلُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران/ ٥٨).

والصير في ﴿لَا يَأْتِيهِ﴾ يرجع إلى الذكر ومساعد الآتة أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجبد إليه سبيلاً من أي جهة من الجهات، فلا يأتيه الباطل بآية صورة متصوره، وحدثك صوره

١ - «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ أَي لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَرِيدُ عَلَيْهِ

٢- «لا يأتيه الباطل. أي لا يأتيه كتاب يبطله ويسحبه وأن يجعله سدى فهو حق ثابت لا يبدل ولا يغير ولا يترك»

٣- «لا يأتيه الباطل لا يطرأ الباطل في إخباره عما مضى ولا في إخباره عما يجي». فكلها تطابق الواقع»

وحاصل الآية، أن القرآن حق لا يداخله الباطل إلى يوم القيامة، فإذا كان حقاً مطلقاً مصوناً عن تسلل البطلان إليه ومتبعاً للناس إلى يوم القيامة يجب عند ذلك دوام رسالته وثبات نبوته وخاتمة شريعته.

وبتعبير آخر أن الشريعة الجديدة إما أن تكون عين الشريعة الإسلامية الحقة أو غيرها، فعلى الأول لا حاجة إلى الثانية، وعلى الثاني، فإما أن تكون الثانية حقة كالأولى فيلزم كون المتناقضين حقاً أو أن تكون الأولى حقاً دون الأخرى وهذا هو المطلوب، وشريعته الرسول الأعظم جزء من الكتاب الحق الذي لا يدانيه الباطل وسنته المحكمة التي لا تصدر إلا بإيحاء منه كما قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَ شَدِيدَ الْقُرَىٰ﴾ (السهم ٣-٥) فالآية صريحة في نفي أي مشرع بعد القرآن وأية شريعته بعد الإسلام، فتدل بالملازمة على عدم النبوذ التشريعية بعد نبوته

النص الرابع:

قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ إِنْهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ...﴾ (الأنعام/١٩)

وطاهر الآية: أَنَّ العاية من برول القرآن تحذير من بلعه إلى يوم
القيامة وبذلك يُفسر قوله سبحانه في آية أخرى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ قُرْآنًا غَرِيبًا تَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ...﴾ (الشورى/٧)

فإن المراد ﴿ومن حولها﴾ جميع أقطار المعمورة، وعلى فرض
انصرافها عن هذا المعنى المأم فلا مفهوم للآية بعد ورود قوله
سبحانه: ﴿لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾

النص الخامس:

قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبا/٢٨).

والمصادر من الآية كون ﴿كافه﴾ حالاً من الناس فُدمت على
ديها وتقدير الآية وما أرسلك إلا للناس كافه بشيراً ونذيراً
وابيك محصل الآيات الخمس:

مما الأولى فهو: أَنَّ باب الإخبار عن السماء الذي كان هو اسبوه

قد أوصد وبإيصاده يكون النبوة مخومة ومحتها تكون اشرعه
 احمديه أبدية لأن تجديد الشريعة فرع فتح باب النبوة، فإذا كان
 التسبب بإخبار السماء مطلقاً فلا يمكن الإخبار عن السماء بوجه من
 الوجوه ومنها مسح الشريعة.

وأما الآيات الأربع الباقية فهي صريحة ببقاء الشريعة
 الإسلامية بصورتها، فمجموع الآيات يركز على أمر واحد: غلق
 باب النبوة وأبدية الشريعة الإسلامية.

هذه هي النصوص، ومع ذلك هي القرآن إشارات إلى الخاتمة
 بمساوئ أخرى تشير إلى بعض منها

الأولى: ﴿وَأَقْبِرَ اللَّهُ أَيْمُنِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكُمْ لَكْتُبَ
 مُفْضَلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِحَقِّ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْتَرِينَ ۝ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام/١١٤-١١٥).

إن دلالة قوله سبحانه ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ على إيراد باب
 الوحي إلى يوم القيامة واصح بعد الوقوف على معنى الكلمة، فإن
 المراد منها مدعوه الإسلامية، أو القرآن الكريم وما فيه من شرائع
 وأحكام والنساهد عليها الآية المتقدمة حيث قال سبحانه
 ﴿وَهُوَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفْضَلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

يَقْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴿١﴾ فالمراد من قوله ﴿أُنزِلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابُ﴾ هو القرآن النازل على العالمين، ثم يقول بأنّ لدى أتباعهم الكتاب من قبل كاليهود والنصارى إذا تخلصوا من هوى يعلمون أنّ القرآن وحي إلهي كالنوراة والإنجيل، وأنه منزل من الله سبحانه بالحق، فلا يصح لأيّ منصف أن يتردّد في كونه نازلاً منه إلى هداية الناس.

ثم يقول في الآية التالية: ﴿وَعَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ بظهور الدعوة الحميدة، ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب وصارت مستقرة في محلّها بعدما كانت تسير دهرأ طويلاً في مدارج التدرّج بنبوة بعد نبوة وشرعة بعد شريعة^(١).

وهذه لكلمة الإلهية - أعني الدعوة الإلهية المستوحاة في لقرآن الكريم - صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الأحكام من الأمر والنهي، عدل لا يخالطه ظلم، ولأجل تلك التمامية لا تبدل كلماته وأحكامه من بعد^(٢).

هذه نظرة إلى القرآن حول الحاقية ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع التفاسير، وكما أنّ الكتاب الحكيم اهتم

(١) الطب طبائبي، الميران ٧: ٣٣٨، الطبرسي، مجمع البيان ٢: ٢٥١

(٢) وقد استعملت الكلمات في القرآن الكريم في الشرائع الإلهية قال سبحانه واصداً مريم ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِّبَ﴾ التحريم ١٦

بالحاجة، فهكذا اهتمت بها السنة النبوية وروايات العترة لظاهرة
ولو حاولنا أن نذكر ما وقعنا عليه في ذلك المجال من المآثر لطل
موقفا مع اقراء ولذلك تقتصر على اثني عشرة رواية مع أن
المآثر يتجاوز المائة.

الفصل الثاني

الخاتمة في الأحاديث النبوية

لقد حصص الحق بما أوردناه من الصوص لقرآنية
وانكشف الريب عن عُمَيَّا الواقع فلم تبق لمجادل شبهة في أن
«رسول في الذكر الحكيم حاتم النبيين وشريعته خاتمة لشرع
وكتابه حاتم الكتب».

وقد ورد الخاتمة على لسان النبي الأكرم، يذكر منها ما يأتي

١ - خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى عروه سوك وحرص
الناس معه فقال علي عليه السلام: أخرج معك؟ فقال لا، وبكى علي فقال
له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من

موسى، لا أنه لا نبي بعدي أو ليس بعدي بي ولا ينبغي أن أذهب
إلا وأنت حليقي».

والحديث على لسان المحدثين حديث المقلّ له لأن النبي نزل فيه
نفسه مرّنه موسى ومرل عليّاً مكان هارون، أخرجه البخاري في
صحيحه في غروة تبوك، ومسلم في صحيحه في باب فضائل
علي عليه السلام، وابن ماجه في مسنده في باب فضائل أصحاب النبي،
والحاكم في مستدركه في مناقب علي عليه السلام وإمام الحسابلة في مسنده
ب طرق كثيرة (١).

ووصوح دلالة الحديث على الحائمية بمكان أغنانا عن البحث
حولها.

٢ - قال رسول الله ﷺ: «ملي ومثل الأنبياء كمثل رجل ي
داراً فانتهى وأكملها إلا موضع لبنة» فجعل الناس يدخلونها
ويعجبون بها ويقولون لو لا موضع هذه اللبنة، قال رسول الله
«فأما موضع لبنة جنت فصحت الأنبياء». أخرجه البخاري
ومسلم والترمذي (٢).

(١) البخاري الصحيح ٢: ٥٨، مسلم الصحيح ٢: ٢٢٢، ابن ماجه، السنن ١: ٢٨
الحاكم، المستدرک ٣: ١٠٩، أحمد بن حنبل، المسند ١: ٢٢١، و ٢: ٢٦٩
٤٣٧

(٢) مصور علي بن عاصم التاج الجامع للأصول ٣: ٢٢، والكتاب يجمع أحاديث
الحسنه والآل ابن ماجه

٣- قال رسول الله ﷺ: «إني خمسة أسماء. أنا محمد، وأحمد، أما الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، يحشر الناس على قدمي، وأنا أعاقب الذي ليس بعده نبي»^(١)

٤- قال رسول الله ﷺ: «أنا قائد المرسلين ولا محر، وأنا حاتم النبيين ولا محر، وأنا أول شافع ومشفع ولا محر»^(٢)

٥- قال النبي ﷺ: يا علي أخصمك بالنبوة فلا سوة بعدي ونخصم أساس بسبع ولا يجاهدك فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله»^(٣)

٦- قال رسول الله ﷺ: «إن الرسالة والنبوة قد سقطت ولا رسول بعدي ولا نبي» قال: فشى ذلك على الناس فقال: «ولكن لبشر» فقالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ فقال: «رؤيا مسلم وهي جزء من أجزاء النبوة»^(٤)

٧- قال رسول الله ﷺ: «أرسلت إلى الناس كافة وبني حاتم النبوة»^(٥)

١١- مسند الصحيح ٨٩٨، مسند أحمد ٤٨١ و٨٤١، ابن سعد الطبقات الكبرى

(٢١) الدرر، الس ١-٢٧

(٣) ابن عديم الاصفهاني، حلية الاولياء ١-٦٦

(٤) الترمذي، الس ٣-٣٦٤

(٥) الامام أحمد، المسند ٢: ٤١٢، ابن سعد، الطبقات ١-١٢٨

٨ - قال النبي ﷺ: «كنت أول الناس في الخلق وأحرهم في البعث»^(١).

٩ - سأسأد العباس بن عبد المطلب النبي في المحرم فقال له «يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فإن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة» ثم هاجر إلى النبي وشهد معه فتح مكة وانقطعت الهجرة^(٢).

١٠ - قال ﷺ: «يكون في أمي ثلاثون كذاباً، كتبهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»^(٣).

١١ - قال رسول الله ﷺ: «فُصِّلْتُ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ، وَبُصِّرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْعَانِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ الْبَيِّنُ»^(٤).

١٢ - روى الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ: «يا أيها الناس إنه لا نبي بعدي ولا سعة بعد ستي، فمن ادعى ذلك مدعواه ويدعته في النار فاقتلوه ومن تبعه فإنه في

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١، ٩٦، القلوري، يسابيع المودة ١٧، ص ١٠٨
لا يباهي في المعنى

(٢) الجري، إسناده العاليه ٣، ١١٠

(٣) الجري، عن ابن مدي، الجامع للأصول ١٠، ٤٦٠

(٤) السيوطي، الجامع الصغير ٢، ١٢٦

(١) لئلا

الخاتمة في أحاديث العترة الطاهرة

قد روى عن النبي الأكرم ﷺ أحاديث أخر في مجال كونه حائماً غير أن ذكر الجميع غير مهسور لنا، وأردف البحث بما روي عن عترته الطاهرة ﷺ في هذا المجال، ونقتصر على القليل من الكثير، فإن المروي عنه في ذلك المجال متوفر جداً

١- قال الإمام عليّ عليه السلام: «إلى أن بعث الله محمداً ﷺ لإعجاز عدته وإتمام نبوته، مأخوذاً على البيِّن ميثاقه، مشهورة سبأه، كريماً مهلاً» (١).

٢- قال الإمام عليّ عليه السلام: «أجعل شريف صلواتك وبامي بركاتك على محمد ﷺ عبدك ورسولك الخاتم لما سبق» (٢).

٣- وقال عليه السلام: «أرسله على حين فتره من الرسل، وسازع من الألسن، ففعا به الرسل وحتم به الوحي» (٣).

٤- قال عليه السلام: «هو يلي غسل رسول الله ﷺ وتجهيزه فأبى أب

١، الصدوق، الفقيه ٤: ١٦٣.

٢، نهج البلاغة، الخطبة ١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٦٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٩.

وَأَمَّا هَذَا فَنَقُطُ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقُطُ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ السُّوءِ وَالْأَسَاءِ
وَأَحْصَارِ لِسَاءٍ، حَصَصْتُ حَتَّى جِئْتُ مُسَلِّماً عَنْ سِوَاكَ وَعَتَمْتُ
حَتَّى صَارَ أَسَاسُ فَيْكِ سِوَايَ^(١). هَذَا وَعَدَ رَوَى عَنْ غَيْرِ الْإِمَامِ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ اعْتَرَاهُ الظَّاهِرُ، وَيَذَكِّرُ بِهِمْ مَا يَأْتِي

٥ - عَنْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَالَتْ: لَمَّا حَمَلْتُ بِالْحَسَنِ وَوَلَدْتَهُ
جَاءَ الْمَلَكُ ثُمَّ هَبَطَ جِبْرِئِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يَقْرُوكَ
الْسَّلَامَ وَيَقُولُ عَلِيُّ بْنُكَ بَنُو هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَلَا بَنِي بَعْدَكَ سَمَّ
ابْنَكَ هَذَا بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ^(٢)

٦ - وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: جَاءَ بَعْدِي
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّكَ
الَّذِي يُوحَى إِلَيْكَ كَمَا أُوحِيَ لِلَّهِ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ؟ فَسَكَتَ
إِنْشَاءً سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَاتِمُ السَّيِّئِينَ،
وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٣).

٧ - رَوَى عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِلرَّسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَأَحْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَكُونُ بَعْدَكَ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ: «لَا، أَنَا حَاتِمُ
السَّيِّئِينَ لَكِنْ يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ قَوَّامُونَ بِالْقِسْطِ، بَعْدَ بَقَاءِ بَنِي

(١) نهج البلاغة، المعطية، ٢٢٥.

(٢) الصدوق عيون أخبار الرضا ٢، ٢٥.

(٣) البحار، البحران ٢، ٤٦.

إسرائيل^(١)

٨- وقال الإمام السجّاد عليه السلام في بعض أدعيه صلّ على محمد حاتم النبيين، وسيد المرسلين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأعدّوا لهالينا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات بما استعدّنا منه^(٢)

٩- وقال الإمام الباقر في حديث: وقد حتم الله بك بكم يكتب وحتم ببيّكم الأنبياء^(٣).

١٠- وقال الإمام الصادق عليه السلام: فكلّ نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومهاجبه حتى جاء محمد ﷺ فحاه بالقرآن وبشريعته ومهاجبه، فخلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرم إلى يوم القيامة^(٤).

١١- وقال عليه السلام: بعث الله سبحانه أنبياءه ورسله وبيّته محمدًا، فأفضل الدين معرفة الرسل وولايتهم، وأحذركم الله أن تحلّ حلالاً وتحرم حراماً إلى يوم القيامة^(٥).

١٢- روى زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحرام

(١) دير شهر آشوب، المصنف ٢: ٣٠٠، البحر العملي، إنساب الهدى ٢: ٥٤٤

(٢) لا مام السجاد، الصحيفة السجادية، الدعاء ١٧

(٣) الكشي، الكافي ٦: ١٧٧، العيص، الوافي ٢: ١٩٢

(٤) الكشي، الكافي ٢: ١٧٧، القرقي، المعاش ١٩٦

(٥) المعاشي، البحار ٢٤: ٢٨٨

والجلال فقال: حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يحى غيره^(١).

١٣- وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام إذا وقعت على قبر رسول الله فعل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك خاتم النبيين^(٢).

١٤- وقال الإمام الرضا عليه السلام في سؤال من سأله: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلا عصاضة؟ قال: لأن الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم عصف إلى يوم القيامة^(٣).

هذه أربعة عشر حديثاً عن العزرة الطاهرة، ولو أردنا أن نذكر ما وقفنا عليه لطال بما المقام، غير أن المهم طرح أسئلة حول المخاتبة وتحليلها بإيجاز.

(١) الكليني، الكافي ٥٧: ١.

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا ٨٧: ٢.

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا ٨٧: ٢.

الفصل الثالث

أسئلة حول الخاتمة

هناك أسئلة حول الخاتمة تثار بين آونة وأخرى، وهي بين سؤال قرآني فلسفي وفقهي، ومكتفي من الأول بواحد من الأسئلة.

السؤال الأول: تنصيص القرآن على أن جميع أهل الشرائع يبالغون ثواب الله

إن القرآن الكريم ينص على أن المؤمنين بالله وباليوم الآخر من جميع لشرائع سينالون ثواب الله وأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومعنى ذلك أن جميع الشرائع السماوية تُحفظ إلى حساب

الإسلام، وأن أتباعها ناجون شأهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، وعلى ضوء هذا، فكيف تكون الشريعة الإسلامية واقعة في آخر مسلسل الشرائع السماوية وكيف تكون رسالته حائز الشرائع؟ وإليك ما يدل على ذلك حسب نظر السائل.

١ - قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجَاسِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَخِيرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/ ٦٢).

٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجَاسِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَخِيرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة/ ٦٩).

٣ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجَاسِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَخِيرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الحج/ ١٧).

إن استباح بقاء شريعة الشرائع السماوية من هذه الآيات مبني على عرض الطرقات عما تهدف إليه الآيات وذلك أن الآيات بصدد ردّ مراعى ثلاثة كانت اليهود تتبناها، لا بصدد بيان بقاء شرائعهم بعد بعثة الرسول الأكرم ﷺ. وهي:

١ - فكرة «الشعب المختار»:

كانت اليهود والنصارى يستولون على المسلمين من العالم مادعائهم فكرة «الشعب المختار» بل إن كل واحد من هاتين الطائفتين لليهود والنصارى، كانت تدعي أنها أرقى أنواع البشر، وكانت يهود أكثرهم تمكناً بهذا الزعم وقد نهل عنهم سبحانه قولهم:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّاصِرَةُ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ...﴾ (البقرة/ ١٨٠) والله سبحانه يرد هذا الزعم بكل قوة عندما يقول: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾، وقد بلغت أنانية اليهود واستعلاؤهم الرائف حداً بالغا وكأنيهم قد أخذوا على الله عهداً بأن يستخلصهم ويختارهم. حيث قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَارَ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا نَعْبُدُونَ﴾ (البقرة/ ٨٠).

٢ - الانتماء إلى اليهودية والنصرانية مفتاح الجنة:

قد كانت اليهود والنصارى تبتغان وراء فكرة الشعب المختار، فكرة أخرى، وهي: أن الجنة نصيب كل من ينتمى إلى بني إسرائيل ويُسقى مسيحياً ليس إلا، وكأن الأسماء والانتساب معا تفتح للجنة، قال سبحانه ناقلًا عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَا

من كان هوداً أو نصارى» (البقرة/١١١).

ولكن القرآن يرد عليهم ويقول: ﴿تِلْكَ أُمَايَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾
 يُرْهَابُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿يَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
 عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/١١١-١١٢) وإن
 قوله سبحانه ﴿يَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ يعني الإيمان الخالص وقوله: ﴿وَهُوَ
 مُحْسِنٌ﴾ يعني العمل وفق ذلك الإيمان وكلتا الجملتين تدلان على
 أن السبيل الوحيد إلى النجاة يوم القيامة هو الإيمان والعمل لا
 الانتماء إلى اليهودية، والنصرانية، فليست هي مسألة الأسماء
 وإنما هي مسألة إيمان صادق وعمل صالح.

٣- الهداية في اعتناق اليهودية والنصرانية:

وهذا الزعم غير الزعم الثاني، ففي الثاني كانوا يقتصرون في
 النجاة بالانتماء إلى الأسماء وفي الأخير يتصورون أن الهداية
 الحقيقية تنحصر في الاعتناق باليهودية والنصرانية ﴿وَقَالُوا كُونُوا
 هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ (البقرة/١٢٥) والقرآن الكريم يرد هذه
 الفكرة كما سبق، ويقول أن الهداية الحقيقية تنحصر في الاقتداء بعملة
 إبراهيم واعتناق مذهبه في التوحيد الخالص الذي أمر الأنبياء
 بإشاعته بين أممهم، قال سبحانه ﴿قُلْ يَلَىٰ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة/١٢٥) وفي آية أخرى ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا

ولا نصراتي ولكن كان ختفأ مسلماً وما كان من المشركين ﴿١٠﴾
عمر ١٦٧/

ستخلص من كل هذه الآيات أن اليهود والمسيحيين ومحاصنة
القذامي منهم كانوا يحاولون - بهذه الأفكار الواهية - التفوق على
البشر، والتمرد على تعاليم الله، والنخلص بصورة خاصة من
لا بضوء نعمت لواء الإسلام. مره بافتعال اكدوبة (الشعب المختار)
الذي لا ينبغي أن يخضع لأي تكليف، ومرة أخرى بافتعال خرفة
(الأسماء والانتساب) وادعاء النجاة بسبب ذلك والمحصل على
مغفرة الله وجنته وثوابه.

ومرة ثالثة بتخصيص (الهداية) وحصرها في الانتساب إلى
إحدى الطائفتين بينما عبد الله كلها من القرآن على ذكر هذه المرغم
الخرافية أعلن بكل صراحة وتأكيد: أنه لا فرق بين إنسان إلا
بتقوى الله فإن أكرمكم عند الله أتقاكم.

وما النجاة والخلة فمن نصيب من يؤمن بالله. ويعمل بأوامره
دوما نقصان لا غير، وهو هذا يفصد تقنيده مراغم لليهود
والنصارى الخوفاء.

بهذا البحث حول الآيات الثلاث (المذكورة في مطلع البحث)
يكشف بطلان الرأي القائل بأن الإسلام أقر - في هذه الآيات -
مبدأ (لوفاق الإسلامي المسيحي واليهودي) تمهيداً لإبكار عالمية

الرسالة الإسلامية وحائثها، بينما نجد أن غاية ما يتوحيه القرآن في هذه الآيات - إنما هو فقط نفس وإبطال عقيدة اليهود والنصارى وليعلن مكانه بأن النجاة إنما هي بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

فلا استعلاء ولا تعوق لطائفة على غيرها من البشر مطلقاً، كما أن هذا انتشبت الفارغ بالأسماء والدعاوى ليس إلا من نتائج العناد والاستكبار عن الحق.

فليست الأسماء ولا الانتساب هي التي تنجي أحداً في العالم الآخر، وإنما هو الإيمان والعمل الصالح. وهذا الباب مفتوح في وجه كل إنسان يهودياً كان أو نصرانياً، مجوسياً أو غيرهم.

ويوضح المراد من هذه الآية قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سِنِينَ﴾ ولأدخلناهم جنتنا النعيم (المائدة/ ٦٥).

فتصرح الآية بانفتاح هذا الباب بمصراعية في وجه البشر كافة من غير فرق بين جماعه دون جماعه حتى أن أهل الكتاب لو آمنوا بما أمر به المسلمون فصلنا إيمانهم وكفّرنا عنهم سيئاتهم.

هذا هو كل ما كان يريد القرآن بيانه من خلال هذه الآيات، وليس أي شيء آخر.

إذن فلا دلالة لهذه الآيات الثلاث على إقرار الإسلام بشرعية
لشرائع بعد ظهوره... وإنما تدلّ على أنّ القرآن يحاول بها إبطال
بعض المراسم.

هذا كله حول السؤال القرآني، وهناك أسئلة أخرى جديدة
بالذكر والتحليل، وإليك بيانها:

• • •

السؤال الثاني: لماذا حتمت النبوة التبليغية؟

إنّ لشريعة الإسلامية شريعة متكاملة الأركان فلا شريعة
بعدها، ومع الاعتراف بذلك يطرح هذا السؤال.

إنّ الأنبياء كانوا على قسمين: منهم من كان صاحب شريعة،
ومنهم من كان مبلغاً لشريعة من قبله من الأنبياء، ككثير أنبياء بني
إسرائيل الذين كانوا يعلّمون شريعة موسى بين أقوامهم.

هناك من حتم باب النبوة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية
متكاملة، فلماذا حتم باب النبوة التبليغية؟

والجواب عنه، غنى الأمة الإسلامية عن هذا النوع من النبوة،
وذلك بوجهين.

الوجه الأول: إنّ النبي الأكرم ترك بين الأمة الكتاب و لعمرة
وعزّها إليها، وقال: لن تضلّ الأمة مادامت متمسكة بها.

فإدراك الهداية تكمن في التمسك بهما فالأمة الإسلامية في عني عن المهمة التبليغية إذ مهمتها موجدة بالتمسك بهما فالمعزة لطاهرة مشاعل الحق، ومنارات التوحيد، أغنت الأمة، علومهم وروحياتهم عن بحثي يبلغ رسالات الله، وهذا إحمال الكلام في أئمة أهل البيت عليهم السلام والتفصيل موكول إلى محله.

الوجه الثاني. إن علماء الأمة المأمورين بالتبليغ بعد التفقه أعنوا الأمة عن أي نبوة تبليغية، قال سبحانه ﴿قُلْ لَا نَقْرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَقِفُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة/١٢٢) وقال سبحانه ﴿وَلَا تُكْرِمُوا أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران/١٠٤).

السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة العينية والاتصال بعالم العيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟
الجواب: إن الفتنوحات العينية من المكاشفات والمشاهدات الروحية م توصل بها وإنما أوصل باب خاص وهو باب السيرة الذي يحمل الوحي التشريعي أو التبليغي.

قال سبحانه: ﴿سَفَرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ بَيِّنٌ لَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت/٥٣).

فالمسوحات الباطنية من المكاشفات والإلهابات في اروع غير
مسدوده بصر الكتاب العزيز قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
تَتَّقُوا عَمَلُ لَكُمْ قُرْآنًا﴾ (الأنعام/٢٩) أي يجعل في قلوبكم نور
تفردون به بين الحق والباطل وتعيرون به بين الصحيح والرائف لا
بالبرهنة والاستلال بل بالشهود والمكاشفة، قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَيْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَتَجْعَلُ
لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَنْفِزَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحدود/٢٨).

وهناك آيات وروايات تدل بوضوح على انفتاح هذا الباب في
وجه الإنسان، نكتفي بما ذكرناه.



لسؤال الرابع: ادعاء النص في التشريع الإسلامي.

كلما تكاملت جوانب المحاصرة وتشابكت، وتعددت ألوانها،
واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جديدة وطرحته عليه مشاكل
طارئة لا عهد للأئمة السابقة بها. إذن فحاجة المجتمع إلى قوانين
ومشرعات جديدة لا تزال تتزايد كل يوم معاً لديك، وما جاء به
الرسول لا يجاوز قوانين محدوده. فكيف بقي النصوص المحدوده
بالحوادث الطارئة غير المتناهية؟

الجواب: إن خلود التشريع وبقاءه في جميع الأجيال ومسايرته

للحصرات الإنسانية، واستفتاءه عن كل تشريع سواء، يتوقف على وجود أمرين فيه.

الأول: أن يكون التشريع ذا مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يمدد معها علماء الأمة والأخصائيون منهم، على استنباط كل حكم يحتاج إليه المجتمع البشري في كل عصر من الأعصار الثاني: أن ينظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق، مع مرونة خاصة تناشي جميع الأرمسة والأجيال، وتساير الحصرات الإنسانية المتعاقبة، وقد أحرز التشريع الإسلامي كلا الأمرين، أمّا الأول فقد أحرزه بتعميد أمور:

الف - الاعتراف بحجية العقل في مجالات خاصة:

إن من سمات التشريع الإسلامي التي يمتاز بها عن سائر التشريعات هي إدخال العقل في دائرة التشريع والاعتراف بحجيته في الموارد التي يصلح له التدخل والفضاء فيها. فالعقل أحد المحجج الشرعية وفي مصاف المصادر الأخرى للتشريع، وقد فتح هذا الاعتراف للتشريع الإسلامي سعة وانطلاقاً وشمولاً لما يتحدد من الأحداث ولما يطرأ من الأوضاع الاجتماعية الجديدة

إن الملازمة بين حكمي العقل والشرع (إنه كلما حكم به العقل

حكم به الشرع) مرفوع كثير من المشاكل التي لم يرد فيها نص، وللعقل دور كبير في استنباط كثير من الأحداث التي يصلح للعقل القضاء فيها ويفتقر على إدراك حكم الشرع من حكم نفس العقل، وذلك في الموارد التالية.

- ١- القول بالملازمة بين وجوب المقدمة وديمها.
- ٢- القول بالملازمة بين حرمة الشيء ومقدمته.
- ٣- الحكم بالبراءة عند عدم النص.
- ٤- الحكم بالامتثال القطعي عند العلم الإجمالي.
- ٥- الحكم بالملازمة بين الحرمة وفساد العبادة.
- ٦- الحكم بالملازمة بين تعلق النهي بنفس المعاملة وفادها.
- ٧- الحكم بالأجراء عند الامتنال وفق الأمر الاضطرري.
- ٨- الحكم بالأجراء عند الامتنال وفق الأمر الظاهري.
- ٩- استكشاف الأمر الشرعي بالأهم عند التزاحم.
- ١٠- استكشاف جطلان الصلاة عند اجتماع الأمر والنهي بتقدمه على الأمر.

يلي عبر ذلك من الأحكام التي تعد من غراب القول بالتحسين والتصحيح العقليين، فمن عزول العقل عن الحكم في ذلك المجال، فقد مضى فكره عن تقديم أي حل لهذه الأحكام وما ذكره مدح لما للعقل من دور، وإلا فالأحكام المستسطة من العقل في محالات

مخالفة أكثر من ذلك.

ب- إن الأحكام تابعة للمصالح والمقاصد عند العدلية:

إن من أضمن في الكتاب والسنة يقف على أن التشريع الإسلامي تابع لملاكات، فلا واجب إلا لمصلحة في فعله ولا حرام إلا لمفسدة في اقتراه ويشهد بذلك كتاب الله في موارد.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ قُلْ أَنْتُمْ تُنْتَهَوْنَ﴾ (المائدة/٩١) فالآية تعلل حرمة الخبيثين باستتباعهما العداوة والبغضاء وصددهما عن ذكر الله. يقول سبحانه: ﴿... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (المنكوت/١٥).

إلى غير ذلك من الآيات التي تصرح بملاكات الأحكام.

وقد تصافرت النصوص عن أغمة أهل البيت عليهم السلام على أن الأحكام الشرعية تخضع لملاكات. قال الإمام الطاهر عليه السلام بس موسى الرضا عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ أَكْلًا وَلَا شَرِبًا إِلَّا لِمَا فِيهِ الْمُنْتَفَعَةُ وَالصَّلَاحُ، وَلَمْ يَجْعَلْ إِلَّا مَا فِيهِ الضَّرَرُ وَالتَّلَفُ وَالْعُسَادَةُ»^(١).

وقال ﷺ في الدم: «إنه يسيء الخلق ويورث القسوة للقلب وقلة الرأفة والرحمة ولا يؤمن أن يقتل ولده ووالده»^(١)

وهذا باقر العلوم وإمامها ﷺ يقول: «إن مدمن الخمر كعابد وثن، ويورثه الارتعاش، ويهدم مروته ويحمله إلى التجسر على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا»^(٢)

وعبرها من التصوص المتضافره عن أنفة الدين^(٣)

فإذا كانت الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد في الموضوع، فالغاية المتوخاة من تشريعها إنما هي الوصول إليها، أو التحرر عنها، وبما أن لمصالح والمفاسد ليست على وزن واحد، بل رُبَّ واحد يحب يسوغ في طريق إحرازه اقتراف بعض المحارم، لاشتماله على مصلحة كبيرة لا يجوز تركها أصلاً، ورُبَّ حرام ذي مفسدة كبيرة، لا يجوز اقترافه، وإن استلزم ترك الواجب أو الواجبات

ولأجل ذلك فقد عقد الفقهاء باباً خاصاً لتراحم الأحكام ونصادمها في بعض الموارد، فيقدمون الأهم على المهم والأكثر مصلحة على الأقل منها، والأعظم مفسدة على الأحرى منها.

(١) المجلسي، معارج الأنوار ٦٢-٦٦٥، الحديث ٢

(٢) المجلسي، معارج الأنوار ٦٢، ٦٦٤، الحديث ٢

(٣) راجع علل الشرائع للشيخ الصدوق فقد أورد فيه ما ائتمر عن النبي ﷺ ولأنفة ﷺ هي بيان علل التشريع

وهكذا . ويتوصلون في تمييز الأهم عن المهم ، بالطرق والامارات التي تورث الاطمئنان ، وباب التزاحم في علم الأصول غير التعارض فيه ، ولكل أحكام .

وقد أعان فتح هذا الباب على حل كثير من المشاكل الاجتماعية التي ربما يتوهم الجاهل أنها تعرقل خطى المسلمين في معترك الحياة ، وأنها من المعصلات التي لاتحل أبداً ، ولما أت على ذلك بمثال وهو :

إنه قد أصبح تشریح بدن الإنسان في المختبرات من الضروريات الحيوية التي يتوقف عليه نظام الطب الحديث ، فلا يتسنى تعلم الطب إلا بالتشریح والاطلاع على خفايا الأمراض والأدوية .

غير أن هذه المصلحة ، تصادمها مائة احترام الإنسان حيّه وميّه ، إلى حدّ أوجب الشارع الإسراع في نفيه وتكفيله وتجهيزه بلندن ، ولا يجوز نبش قبره إذا دهن ، ولا يجوز التمثيل به ونقطيع أعصائه ، بل هو من المحرمات الكبيرة التي لم يجوزها الشارع حتى بالنسبة إلى الكلب العفور ، غير أنّ عناية الشارع بالصحة العامة وتقدم العلوم جعلته يسوّغ إقتراف هذا العمل لبك الغاية ، مقدماً بدن الكافر على المسلم والمسلم غير المعروف على المعروف منه ، وهكذا .

ج - التشريع الإسلامي ذو مادة حيوية:

إنَّ تشريع الإسلام في مختلف الأبواب مشتمل على أصول وفروع عامة نبي باستنباط آلاف من الفروع التي يحتاج إليها المجتمع البشري على امتداد القرون والأجيال

أخرج الكليني عن عمر بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنَّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدلُّ عليه وجعل على من تعدَّى ذلك الحدَّ حداً.

روى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة^(١)

وقال الإمام الطاهر موسى الكاظم عليه السلام عندما سألته عن وجود كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه قال مجيباً: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه^(٢)

نعم تتجلى حيوية مادة التشريع إذا أخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق أئمة أهل البيت، فقد حفظوا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما كانت كتابه الحديث أمراً معرضاً عنه ولذلك صارب أدبه لهم الإسلام متوسعة كافلة لاستنباط الأحكام وبذلك أعصوا

الأمة الإسلامية عن مقاييس ظنية كالقياس والاستقراء وما لا دليل عليه من الكتاب والسنة على وجه القطع واليقين

إن الاكتفاء بما ورد عن النبي عن طريق الصحابة وعدم الرجوع إلى ما رواه أئمة أهل البيت عن جدهم متسلسلاً كابر عن كابر لمساره عظمى، فعلى المشعوف بتجديد حياة الإسلام وإغنائه عن أي تشريع غربي وشرقي وتجسيد الحاجة في مجال التشريع أن يجتاز الحدود التي ضربها الأمويون ومن لف لفهم بين الناس وأئمة أهل البيت عليهم السلام فبعد ذلك ستفتح آفاق من حديث الرسول بما يختار الله به، ويثير الحسرة لما فات الأمة من التنوير بنورهم في القرون الماضية.

د - تشريع الاجتهاد وعدم خلق بابه:

ومما أصح على التشريع الإسلامي خلوداً وغصاضة وشمولية وإغناء عن موائد الأجانب، فتح باب الاجتهاد فيها يحتاج إليه الأمة في حياتها الفردية والاجتماعية، ومن أفعله في الأدوار لسابقة قطع الأمة الإسلامية عن مواكبة التطور والحضارة ومن ثم جعل التشريع الإسلامي ناقصاً غير كامل لما تحتاج إليه الأمة. وأما روم فتحه فهو أن الأمة الإسلامية في زمن تسوال في الاحتراب والصناعات، وتتجدد الأحداث التي لم يكن لها مثيل

في عصر النبي ولا بعده، فهم أمام أحد أمور:

١- بما بذل الوسع في استنباط أحكام الموضوعات الحديثة من الأصول والقواعد الإسلامية.

٢- و تباع المبادئ الغربية من غير نظر إلى مقاصد الشريعة.

٣- والوقوف من غير إعطاء حكم.

ومن المعلوم بطلان الثاني والثالث فيتميز الأول.

نعم لم يزل هذا الباب مفتوحاً عند الشيعة بعد رحيل صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، وبذلك أسقذوا الشريعة من الانطباع وأغصوا الأمة الإسلامية عن التطلع إلى موائد الغربيين.

وبما أن الاجتهاد الحر والخروج عن قيد المذاهب صار واضح للزوم يقتصر على هذا المقدار.

٨- حقوق الحاكم الإسلامي أو ولاية الفقيه:

من الأسباب الباعثة على بقاء الدين وكونه مادة حيوية صالحة لحل المشاكل والمحصلات الطارئة، كون الحاكم الإسلامي بعد نبي ولأئمة ممثلاً لقيادتهم الحكيمة في أمور الدين ولدنيا، التي من شأنها أن توجه المجتمع البشري إلى أرقى المستويات الحضارية، فقد فتحت لثل هذا الحاكم الصلاحيات المؤدية إلى

حق التصرف في كل ما يراه ذا مصلحة للأمة في إطار القواسم العامة، لأنه يتمتع بكل ما يتمتع به النبي والإمام من النفوذ المطلق، إلا ما كان من خصائص النبي والأنمة.

فما أن المحققين أسهبوا الكلام في معنى ولاية الفقيه اقتصرنا على هذا المقدار.

مرونة التشريع الإسلامي:

لقد سبق الحديث عن أن استثناء التشريع الإسلامي عن كل تشريع سوءه رهس أمرين.

الأول: أنه ذو مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر على الإجابة ببيان حكم جميع الأحداث التالية والطارئة.

الثاني: النظر إلى الكون والمجتمع بعمق وانطلاق مع مرونة خاصة تماشي جميع الأزمنة والأجيال وقد مرّ الكلام في الأمر الأول وإليك الكلام حول الأمر الثاني.

إنّ لديّ فتح للتشريع الإسلامي خلّوياً وغناءً عن سائر التشريعات هو مرونة أحكامه التي تماشي جميع الأزمنة والحضارات، وقد تمثّلت هذه المرونة بأمور.

الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادة والروح.

إذا عالت المسيحية في التوجه إلى الناحية الروحية، فدعب إلى
 ارهابية ولتعرب، أو عالت اليهودية في الدعوة إلى ملاذ الحماة
 والانكباب على المادة حتى سبب كل قيعة روحية، فالإسلام دعا
 إلى لمادية والمعنوية على وجه يطابق الفطرة الإنسانية وجعل
 الفطرة مقبلاً للحلال والحرام وشرع للإنسان ما يسعده في الدني
 والآخرة على ما هو مذكور بالتفصيل في محله.

الثاني: النظر إلى المعاني لا إلى الظواهر:

الإسلام ينظر إلى المعاني والحقائق لا الظاهر وانقشور فيها
 بالأخذ باللب لا بالقشر وهذا هو السر في خاتمة الدين الإسلامي
 ونمطه مع تطور الحياة، ولا يتوهم من ذلك جوار لتدخل في
 لتشريع بحجة الأحد باللب دون القشر، فإن الكبريات الواردة في
 لكتاب والسنة كلها لب وأما القشر فإتما يرجع إلى لتخطيط
 والتجسيد.

وسيوافيك عند الإجابة على السؤال الخامس من أن لإسلام
 دعا الإنسان إلى الملبس والسكن وإشاعة العلم والتربية، وهذا
 هو لللب وأما الأشكال والأنماط لهذا التشريع فتترك إلى

مقتضيات العصور.

إن الذي يهتم به التشريع كون البيت مقاماً على أرض غير معصوبة ومن مال حلال بحيث يمكن المسلم من إقامة فرائضه عليها وحفظ كيانه، وقد أنماط شكل البيت وهندسته إلى مقتضيات الظروف والمصالح وكذا الملابس ووسائل التعليم ابتداءً من الحمر على الصخر والمجدران والكتابة على الجلود والقراطيس، إلى ابتكار وسائل إلكترونية متطورة لإنجاز العرض، فمن أراد الحفاظ على الصور، فقد عرقل الأمة الإسلامية عن التقدم وأثار مشاكل في تطبيق الشريعة في الأزمنة الحاضرة.

الثالث: الأحكام التي لها دور التحديد:

من الأسباب الموجبة لمرونة هذا الدين وانطباقه على جميع الحضارات الإنسانية تشريعه القوانين الخاصة التي لها دور التحديد والرقابة بالنسبة إلى عامة تشريعاته وقد اصطلاح عليها الفقهاء بالأدلة الحاكمة، لأجل حكومتها وتقدمها على كل حكم ثبت لموضوع بما هو هو فهذه القوانين الحاكمة، تعطى لهذا الدين مرونة يماشي لها كل حضارة إنسانية، مثلاً: قوله سبحانه ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ (الحج ١٧٧) حاكم على كل تشريع يسلم العمل به حرجاً، لا يتحمل عادة للمكلف فهو مرفوع. في

الطرف المخرج، ومثله قوله ﷺ «لا ضرر ولا ضرار» فكل حكم يستتبع العمل به ضرراً شديداً فهو مرفوع في تلك الشرائط، وقس عليها غيرها من القوانين الحاكمة.

نعم نشيخص المحاكم عن المحكوم، وما يرجع إلى العمل بالمحاكم من اشراط، يحتاج إلى الدقة والإمعان والتعقُّق والاجتهاد، ومن رأينا أنَّ الموضوع يحتاج إلى التبسيط أكثر من هذا، فإلى مجال آخر أيها القارئ الكريم.



السؤال الخامس: القوانين الثابتة والحياة المتطورة.

إن مقتضى كون الإسلام ديباً حائماً، ثبات قوانينه وتشريعاته، ومن المعلوم أنَّ المجتمع الإنساني لم يزل في تطوُّر وتغيُّر، فعند ذلك يُطرح السؤال التالي:

كيف يمكن للمانون الثابت معالجة مطلَّبات المجتمع المتغيِّر، لأنَّ من لوازم التغيُّر والتطوُّر، تغيُّر ما تُشود عليه مس قوانين ومشريعات؟

هذا هو السؤال الذي يُطرح بين آونة وأخرى، والإجابة عنه تتوقف على بيان ما هو الثابت من حياة الإنسان عن متغيِّرها، وأنَّ لثابت من جانب حياته تشريعاً ثابتاً، وللجانب المتغيِّر منها

شريعاً منعزلاً فالتشريع الثابت لما هو الثابت والمسيّر لما هو المتغير، وإليك البيان:

الجانب الثابت من حياة الإنسان:

١- إنَّ للحياة الإنسانية جانبين، متغير وثابت، والثابت منها عبارة عن الفرائض الثابتة والروحانيات الخالدة التي لا تتغير ولا تبدل مادام الإنسان إنساناً ولا يتسرب التعرُّ إليها.

فالإنسان الاجتماعي بما هو موجود ذو عرائض يحتاج لحفظ حياته وبقاء نفسه إلى العيش الاجتماعي والحياة العائلية، وهذان الأمران من أسس حياة الإنسان لا تفتأ تقوم عليها حياته منذ وجوده إلى يومنا هذا.

فإذا كان التشريع الموضوع منسجماً ومتطلبات الفرائض ومعدلاً إياها عن الإفراط والتفريط ومرتكزاً على العدل والاعتدال فذلك التشريع يكون حالداً في ظلِّ حلود الفرائض.

٢- إنَّ التفاوت بين الرجل والمرأة أمر لا ينكر فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضوياً وروحياً رغم كل الدعائيات السخيفة المبكرة لذلك الاختلاف فلكل من الرجل والمرأة مطلب ومق تركيبي، فهو كان التشريع متجاوباً مع التركيب والعطرة، يكون

حاشداً حسب حلول الفكره والتركيب.

٣ - الروابط العائليه كعلاقه الأب بولده وبالعكس، علاقات طبيعيه مبنيه على الفطره، فالأحكام الموضوعية وفق هذه الروابط من النواتج ولزوم التكريم ثابته لا تتغير بتغير الزمان

إن السؤال مبنى على أن الإنسان يعطيه وتركيبه يقع في مهب التغير، والتطور، فلا يبقى منه شيء عبر القرون، فكأن الإنسان الحالي غير الإنسان الغابر، مع أنها فكرة باطلة، فلو كان هناك تغير فإنما يعود هذا إلى غير الجانب الثابت من حياته.

٤ - إن في حياة الإنسان قصايا أخلاقية ثابتة عبر الزمان لا يتسرب إليها التغير ككون الظلم قبيحاً والعدل حسناً، وجزء الإحسان بالإحسان حسناً وبالسئ قبيحاً، والعمل بالميثاق حسناً وقضه قبيحاً، إلى غيرها من القصايا الأخلاقية لثابتة في حياة الإنسان. سواء أقلنا بأنها أحكام فطرية تابعة من الخلقة أو فلما ن هناك عوامل عبر التاريخ رسخت هذه المفاهيم في ذهن الإنسان، فإن الاختلاف في جذور تلك المثل لا يصير مانحاً بصده لأنها على كل تقدير ثابتة في حياة الإنسان، والتشريع لموضوع وفقها يتتبع بالشباب.

إن هناك موضوعات في الحياة الإنسانية لم تزل ذات مصالح

ومعاسد أبدية، فما دام الإنسان إنساناً فالخمر يربل عقله والميسر
يسبب العدوه في المجتمع، والإباحة الجنسية تفسد النسل والحرث
مدى الدهور والأجيال. فيما أن هذه القضايا قضايا ثابتة في حياته،
فالتشريع على وفقها يكون ثابتاً وفق ثباتها.

فهذه عوادح من الجوانب الثابت من حياة الإنسان تساوئها
لا يقاف القارئ على أن التعير في حياة الإنسان ليس أمراً كدياً ولا
يتسرّب إلى أعماق حياته، وإنما التغير يرجع إلى صور من حياته
فالتغير - كما سيوافيك بيانه - إنما يكون مثلاً في المواصلات، وفي
التكتيك الحربي، وفي طراز البناء وأشكاله وفي معالجة الأمراض
وعيرها، فأين مثل هذا التعير من حرمة الظلم، ووجوب الغد،
ولزوم أداء الأمانات، ودفع الفرامات، ولزوم الوفاء بالعهد
والأيمان، وتكريم ذوي الحقوق إلى غير ذلك من القواين الثابتة
اموضوعة على غرار الفطرة مبنياً على الجوانب الثابت من حياته
فهو يحتمل مكان التشريع الدائم.

الجوانب المتغير في الحياة الإنسانية:

إن للإنسان جانباً آخر في حياته لا يرال يتغير من حال إلى
حال فمثل هذا يتطلب تشريعات متغيرة حسب معيره وتبدله،
ومن حسن الحظ أنه ليس في الإسلام الخاتم شريعاً ثابتاً لهذا

الحجاب من الحياء مظاهر حياته وقشورها لا جوهرها ولذلك لم يتدخل فيه الإسلام ندخلاً مباشراً. بل ترك أمرها للمجتمع الإسلامي في ظل إطار خاص. وسوّع للمجتمع البشري إدارة شؤون حياته في مجال العمران والبناء ويطور وسائل الحياء المختلفة في مجال الثقافة والدفاع والاقتصاد في ظل إطار عام لدى يتجاوب مع التعبير والتطور.

فترك للإنسان مجالاً متحرراً يختار به أي نوع من الألبسة والبناء والمعدات والوسائل المختلفة ضمن شروط معلومة في فقه الإسلامي، ولأجل هذه المرونة في الإنسان نرى أنه يتجاوب مع جميع لحضارات الإنسانية وما هذا إلا لأنه لم يتدخل في الجزئيات المتغيرة إلا بوضع إطار خاص لا يمح حرّيته ولا يزاحم استقراره، وهناك كدمة قيمة للشيخ الرئيس ابن سينا نذكرها، قال:

يجب أن يفوّض كثير من الأحوال خصوصاً في المعاملات إلى الاحتياط فإنّ للأوقات أحكاماً لا يمكن أن تنصط، وأنا صبط مديته بعد ذلك عمره ترتيب الحفظ ومعرفة الدخل والخروج وعداد هب الأسلحة والحقوق والثغور وغير ذلك فيسعي أن يكون ذلك إلى الناس من حيث هو خليفة ولا تعرض فيه أحكام جزئية، فإنّ في فرضها فساداً لأنّها تتغير مع غير الأوقات، ومعرض الكليات فيها مع تمام الاحتمال غير ممكن فيجب أن يجعل

دعك إلى أهل المشورة^(١).

نعم إن عنوان مقتضى الزمان صار دمر الكل من أراد أن يتحرر من القيم الأخلاقية، ويعيش متحللاً من كل قيد وحد، جاعاً لكل عذار.

وهؤلاء حينما رأوا الإباحة الجنسية، واختلاط الرجال والنساء، واتخاذ الملاهي على أنواعها وشرب المسكر، واللعب بالميسر، واقتراف المعاصي وأخذ الربا وغير ذلك مما حرّمته الشريعة الإسلامية، لم يجدوا مبرراً لاقترافها إلا بالتمسك بمقتضيات الزمان وجبر التاريخ.

وهذا أبرز دليل على أن التمسك به، عطاء للتحرر من القيود الشرعية والأخلاقية وإلا فلو كان المقصود من تطبيق الحياة على مقتضيات الزمان، هو ترفيع الثقافة الإنسانية والاستفادة من أحدث الأجهزة في عامة المجالات فهذا مما لا يرفضه الإسلام وليس له فيه قانون يبرقل خطى الترقى، وحدوده بإطار عام، وهو عبارة أن لا يراحم سعادة الإنسان وأن لا يكون فيه ضرر على روحه وحسمة، والقيم التي بها يعتار عن الحيوان.

وها نحن نأتي في المقام بنادج من الأحكام المستعيرة من غير

لظروف وراء مآذركناه في مجال الصناعة والمسكن والمجلس بشرط أن لا يزاحم المثل والقيم.

١- في مجال العلاقات الدولية الدبلوماسية

يجب على الدولة الإسلامية أن تراعى مصالح الإسلام والمسلمين، فهذا أصل ثابت وقاعدة عامة، وأما كيفية تلك لرعايته، فتختلف باختلاف الظروف الزمانية والمكانية، فتارة تقتضي امصلحة السلام، والمهادنة والصلح مع العدو، وأخرى تقتضي ضد ذلك.

وهكذا، تختلف المقررات والأحكام الخاصة في هذا المجال، باختلاف ظروف ولكنها لا تخرج عن نطاق القنن العام الذي هو رعاية مصالح المسلمين، كقوله سبحانه

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء ١٢١).

وقوله سبحانه ﴿لَا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ غَنَ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ يَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ غَنَ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

٢ - في العلاقات الدولية التجارية:

قد تمنعي المصلحة عقد اتفاقيات اقتصادية وإنشاء شركات تجارية، أو مؤسسات صناعية، مشتركة بين المسلمين وغيرهم. وقد نقصي المصلحة غير ذلك. ومن هذا الباب حكم الإمام المعفور له، المجدد، السيد الشيرازي بتحريم التدخين ليمنع من تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية التي عقدت في زمانه بين إيران وإنكلترا، إذ كانت مجحفة بحقوق الأمة المسلمة الإيرانية لأنها خولت لإنكلترا حق احتكار التباك الإيراني.

٣ - في مجال الدفاع عن حريم الإسلام:

الدفاع عن بيضة الإسلام وحفظ استقلاله وصيانة حدوده من الأعداء، قانون ثابت لا يتغير، فالقصد الأسنى لمشرع الإسلام، إنما هو صيانة سيادته عن خطر أعدائه وأضرارهم، ولأجل ذلك أوجب عليهم تحصيل قوة صاربة ضد الأعداء، وإعداد جيوش عارم جرار تحاه الأعداء كما يقول سبحانه ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأحزاب/ ٩٠) فهذا هو الأصل الثابت في الإسلام لدى يؤيده العقل والفطرة أما كيفية الدفاع وتكتيكه وسوع سلاح، أو لروم الخدمة العسكرية ودعمه، فكلها موكولة إلى مضاياب الرمان، تتغير بتغيره، ولكن في إطار القوانين العامة

فليس هناك في الإسلام أصل ثابت، حتى مسألة لزوم النحب
لعومي، اندي أصبح من الأمور الأصلية في غالب البلاد
وما يرى في الكتب الفهية من مبوب باب، أو وصع كتاب
خاص، لأحكام السبق والرمية، وغيرها من أنواع لغوسية التي
كانت متعارفة في الأرمنه العابرة وتقل أحاديث في ذلك لباب عن
الرسول الأكرم ﷺ وأئمة الإسلام، فلبست أحكامها أصلية ثبتة
في لإسلام، دعا إليها الشارع بصورة أساسية ثابتة، بل كانت هي
نوع تطبيق لذلك الحكم، والعرض منه تحصيل القوة الكافية، تجاه
العدو في تدكم العصور وأما الأحكام التي يسمى أن تطبق في
العصر الحاضر فإنه تفرصها معنويات العصر نفسه

فعلى المحاكم الإسلامي تقويه جيشه وقواته المسلحة بالطرق
التي يقدر معها على صيانة الإسلام ومعتقيه عن الخطر ويصد كل
مؤامرة عيه من جانب الأعداء حسب إمكانيات الوقت.

وامعنى لندي يتوخى ثبات قانونه ودوامه وسيادة نظامه الذي
جاء به، لا يجب عليه التعرض إلى تفاصيل الأمور وحرثياتها، بل
الذي يجب عليه هو وضع الكليات والأصول ليساير قانونه جميع
الأرمنه بأشكالها وصورها المختلفة، ولو سلك غير هذ السبيل
لصار حفظه من النقاء قليلاً جداً.

٤- في نشر العلم والمعارف والثقافة:

نشر العلم والثقافة، واستكمال المعارف التي تُصمِّمُ سيادة المجتمع مادياً ومعنوياً، يعتبر من الفرائض الإسلامية، أمّا تحقيق ذلك وتعيين نوعه ونوع وسائله فلا يتحدّد بمحدّد خاص، بل يوكل إلى نظر المحاكم الإسلامي، واللجان المقررة لذلك من جابه حسب الإمكانيات الراهنة في ضوء القوانين الثابتة.

وبالجملة: فقد ألزم الإسلام، رُعاة المسلمين، وولاة الأمر نشر العلم بين أساء الإنسان واجتثاث مادة الجهل من بينهم ومكافحة أيّ لون من الأمية، وأمّا سوع العلم وخصوصياته، فكل ذلك موكل إلى نظر المحاكم الإسلامي وهو أعلم بمحوائج عصره.

فربّ، علم لم يكن لازماً، لعدم الحاجة إليه، في العصور السابقة، ولكنه أصبح اليوم في الرعيل الأول من العلوم اللازمة التي فيها صلاح المجتمع كالاقتصاد والسياسة.

٥- في مجال إقامة النظام:

حفظ النظام وتأمين السبل والطرق، وتنظيم الأمور الداخلية ورفع مستوى الاقتصاد... من الضرورات، فيتبع فيه وأمنائه مقتضيات، لطروف وليس فيه للإسلام حكم خاص يسبغ، بل

اندي سوحاه الإسلام هو الوصول إلى هذه العايات، ومحصيلها بالوسائل الممكنة، دون تحديد ومعيّن لتتوع هذه الوسائل وتما ذلك من روا إلى إمكانيات الزمان الذي يعيش فيه البشر، وكده في ضوء الفوائين العامة.

٦- في مجال المبادلات المالية.

قد جاء الإسلام بأصل ثابت في مجال الأموال وهو قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة/١٨٨) وقد فرغ لفقهاء على هذا الأصل شرطاً في صحة عقد البيع أو المعاملة فقاود: يشترط في صحة المعاملة وجود فائدة مشروعة وإلا فلا تصح المعاملة ومن ها حرّموا بيع (الدم) وشراؤه

إلا أن تحريم بيع الدم أو شراؤه ليس حكماً ثابتاً في الإسلام بل للحكم الثابت هو حرمة أكل المال بالباطل. وكانت حرمة لدم في لزمان السابق صورة إجرائية لما أفادته الآية من حرمة أكل المال بالباطل ومصدافاً لها في ذلك الزمان فالحكم يدور مدار وجود الفائدة (لني تخرج المعاملة عن أن تكون أكل المال بالباطل) وعدم تحقق لفائدة، فلو تمت فائدة معهولة على بيع لدم أو شرته فسوف يستدل حكم الحرمة إلى الحلّة، والحكم الثابت ها هو قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

وفي هذا المصباح ورد أن علياً عليه السلام سئل عن قول الرسول ﷺ
 عَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تُشَبِّهُوا بِالْجُودِ؟ فقال: عليه السلام: «إِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ
 وَالَّذِينَ قُلُّ، فَأَمَّا الْآنَ فَعَدَّ اتَّسَعَ نَظَافَهُ وَضُرِبَ بِجِرَانِهِ هَالِكُهُ وَمَا
 احْصَارُهُ»^(١)

خاتمة المؤلف

الشيعة والخاتمة

تفقت الشيعة - قاطبة - تبعاً للكتاب والسنة على أن نبي الإسلام، هو النبي الخاتم، وكتابه خاتم الكتب، ورسائله خاتمة الرسالات، وقد أوجده برحيله باب الوحي، وأقفل بموته باب التشريع، فلا وحي ولا تشريع بعد ذهابه وقد وقف على كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام عند تعيين النبي عليه السلام وتجهيزه فلا بعيد^(١)

غير أن هناك شبهات ضئيلة في المقام طرح من جانب أناس.

(١) لاحظ الحديث ٤ في فصل (الخاتمية في أحاديث العشرة الطاهرة).

لا عرفان لهم بمذهب الشيعة ولا تعرف لهم عليه من كذب وقد تنقوها من المستشرقين أو من البعداء عن البيئات الشيعية وهذه الأسئلة تجمعها الأمور التالية.

١- كيف تقولون بالحائمية وإيصاد باب الوحي وانشريع وأنتم تعملون بكتاب علي عليه السلام؟

٢- كيف تقولون بذلك، وعندكم مصحف، باسم مصحف فاطمة وهل كان عند بنت المصطفى ﷺ قرآن غير القرآن الحاضر عند المسلمين؟

٣- كيف تقولون ذلك وأنتم تعتمدون على روايات مروية عن الأئمة الاثني عشر، بصورة موقوفة غير متصلة إلى اسمي الأكرم وهل الأئمة الاثنا عشر بمن يوحى إليهم؟

إن هذه الأسئلة ربما تنطلي على الجاهل غير العارف بمعتقدات الشيعة فيرميهم بما هم براء منه، ولأجل رفع العطاء بأحد كل واحد بالدراسة بوجه موجه

١- كتاب علي وإملاء رسول الله:

إن السؤال الأول يرجع إلى كتاب علي وآله ما هو وهل هو أحاديث رسول الله ﷺ التي دونها الإمام دون غيره وإليك

التفصيل.

كانت لمدرسة أئمة أهل البيت عناية خاصة لضبط وتدوين كل ما أثر عن النبي الأكرم ﷺ من قول وفعل، لأنه ﷺ لا يصدر في مجال التشريع والتعليم إلا عن الوحي قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم/١-٢) وكان ﷺ على علم قاطع بأنه سوف يستقل إلى رحمة الله، وأن الأمة الإسلامية سوف تحتاج إلى كتاباته وأقواله، وأفعاله وأعماله ولا تسبق خالدة إلا بالضبط والتدوين.

إن الإمام علي بن أبي طالب ع كان وليد البيت النبوي وكان مع الرسول الأعظم ﷺ منذ نعومة أظفاره إلى رحيل رسول الله عن الدنيا وهو ع يصف حياته في صباه وما بعده ويقول: «واقف كنتُ تبعه (يعني رسول الله) أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراً فأراه ولا يراه غيري. ولم يجتمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا نالتهما، أرى نور الوحي، ولرسالة وأسم ربح النبوة»^(١).

كان ربيبه علي ع يلازمه ليلاً ونهاراً، سفرراً وحضرراً، في

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢

موطئه ومهخره، لم يهارقة في عزوه إلا غروره سيوك وقد أقامه رسول الله ﷺ في المدينة ليكون عيماً للمسلمين، على المنافقين، وصاعقه على المتمردين إذا حاولوا المؤامرة، أو إيداء من بي من المسلمين من الشيوخ والأطفال، إلى أن دخل العام الحادي عشر للهجرة وقد قرب أجله وارتحلته ومرض وكان علي هو لمرّض به وقبض ورأسه لعل صدره.

إنّ علياً عليه السلام يشرح ذلك الموقف ويقول: «ولقد قبض رسول الله ﷺ وإنّ رأسه لعل صدري - إلى أن يقول - ولقد ولّيت غسله عليه السلام واملأته أعواني، فصبت الدار والأصبة، ملأ يسط، وملأ يرح وما فارقت سمعي (هبة) ^(١) منهم، يصلون عليه، حتى وريناه في ضريحه فمن ذا أحقّ به مني حياً وميتاً؟ ^(٢)»

كل ذلك يعرف عن لواء الإمام واحتصانه بالنبي الأكرم عليه السلام والتجائه إليه.

وقد اختص الإمام بهذا المعام من بين الصحابة ولم يساركة غيره وبذلك صار باب علم النبي ^(٣) والحاكم الروحي على الإطلاق حتى عصر الخلفاء ولا شك في ذلك من فتح عييه على

(١) الصوت الحمي.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٧.

(٣) المثنى الهندي، كبر العال ٦ ١٤٦٦ وص ٤٠٦.

سيره لخدماء وتاريخ المسلمين.

ولمثل هذا النوع من التلاحم

يصف علي عليه السلام حاله مع النبي ويقول: «إني إذا كسب سألته أباي، وإذا سكب ابتدأني»^(١).

كان رسول الله ﷺ يأمر علياً عليه السلام أن يكسب كل ما يلي عليه
فعل ﷺ مرة لرسول الله

«يا نبي الله أخاف علي السيان؟ قال لست أخاف عليك
لسيان، وقد دعوت الله أن يحفظك ولا يسيبك ويكن اكتب
شركائك قال قلت: ومن شركائي يا سبي الله؟ قال: الأئمة من
ولئك»^(٢).

وكان من جملة ما أملاه عليه رسول الله ﷺ وكتب علي عليه السلام
بخطه، كتاب طوله سبعون ذراعاً في عرض الأديم وهذا هو
المعروف بكتاب علي أو صحيفته أشهر أمره بين الشيعة وأئمتهم
وفيها ما يحتاج إليه الناس في محال الأحكام إلى يوم القيامة،
وكانت الأئمة بعد الإمام يصدرون عنه ويروون عنه، ويستشهدون
في مواقع خاصة به، وليس كتابه سوى أحاديث أملاه النبي، وكتبه

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء ١١٥.

(٢) الصدوق، كمال الدين ١٠٦، وأماله ٢٢٧، وغيرها.

الوصي وورثه أنساؤه كابر عن كابر، ونقلوا عنه شيئاً كثيراً وبذلك صار الإمام هو المدوّن الرسمي للحديث النبوي، وإن كان بعض الصحابة^{١١} شاركه في ضبط الحديث النبوي، لكن صحائفهم وكتبهم أحرقت - ويا للأسف - في عصر الخلفاء لمصالحهم أعرف بها، وبذلك حسر المسلمون والسنة النبوية خسارة كبرى لا تستقال وبالتالي صار الحديث النبوي مرتعاً لوضع الوضاعين والكذابين يلصقون بها ما شاءوا من الاسرائليات والمسيحيات والمجوسيات، لكن بقي كتاب الإمام غصّاً طرياً مصوناً من الشر، يرثه إمام بعد إمام.

ولأجل يقف القارئ بواقع الأمر، نذكر مواصفات الكتاب وميزاته، وشيئاً من نصوصه، حتى يتبين إن كتاب علي عليه السلام يمكن إلا جامعاً حديثياً وكان تدويناً مبكراً للسنة النبوية المطهرة وكتابه هذا هو سمة إكمال الدين الذي هو العماد لمسألة الخاتمة.

أ - روى بكر بن كريب الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندما ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إليّ، وإن عندما كتاباً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام، صحيفة

١١، الترمذي المس ٥: ٣٩، كتاب العلم، الفارسي، السن ١: ١٢٥، باب من رخص في كتابة العلم، الامام أحمد، المسند ٢: ٢٦٥، وغيره.

فيها كل حلال وحرام^(١).

ب - روى فضيل بن يسار قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام يا فضيل! عندما كتاب علي سبعون ذراعاً، ما على الأرض شيء يحتاج إليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش^(٢)

ج - روى أبو بصير - في حديث - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا أبا محمد! وإن عندنا الجامعة وما يُدرّسها ما الجامعة قال قلت: جعلتُ فداك، وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه، وخط علي عليه السلام بهيمه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى أرش في الخدش^(٣).

د - روى أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول - وذكر ابن شبرمة في فتاه - فقال: أين هو من الجامعة، إملاء رسول الله وخطه علي بيده، فيها جميع الحلال والحرام حتى أرش الخدش فيه^(٤).

لن غير ذلك من الروايات الخاكية لخصوصيات الكتب

(١) الكليني، الكافي ٦ ٢٤١، والصغار، بصائر الدرجات ١٤٢

(٢) نصائر، بصائر الدرجات، ١٤٧

(٣) الكليني، الكافي ١ ٢٣٩، والصغار، بصائر الدرجات ١٤٣

(٤) الصغار، بصائر الدرجات ١ ١٤٥

وميراده التي رواه أصحاب المعاجم من محدثي الشيعة، فتسمية غه أهل البيت تارة بكتاب علي وأخرى بالجامعة وثالثه بصحيفه علي والكتاب عرب عن عناية الإمام بضبط أحاديث لرسول ﷺ، كما يعرب عن عناية سيد التعلين، بكتابه حديثه، ليبقى من العصور والقرون، لا يعتريه الوضع والندس.

وفي العصر الذي كان الناس يروون عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليسعه^(١) وإن فريقاً من الصحابة استأذنوا النبي ﷺ أن يكتبوا عنه فلم يأذنهم^(٢).

وفي العصر الذي كانت مدرسة الخلفاء تروج تقليل الرواية عن الرسول، وكلها يبعث الخليفة عمر بن الخطاب والبا إلى قطر أو بند يوصيه في حملة ما يوصيه بقوله: «جرّدوا القرآن واقلّوا لرواية عن محمد وأنا شريككم»^(٣) وربما يجب افشاء الحديث عنه ﷺ ويقول مخاطباً لأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، وأبي الدرداء «وما هذا الحديث الذي تعشون عن محمد»^(٤).

في تلك العصور المخرجة، ترى أئمة أهل البيت يحنطون

(١) الدرعي السن ١ ١١٩، والامام احمد ٣ ١٢

(٢) الدرعي السن ١ ١١٩، والامام احمد ٣ ١٢

(٣) الطبري، التاريخ ٣-٢٧٢ طبعه الاعظمي بالاقسنة

(٤) المعني الهندي، كمر الصال ١٠ ٢٩٣، ومع ٢٩٤

بكتاب علي، ويعتمدون عليه في هل الحلال والحرام، وبه يردون ما كان يصدر من الفتيا الشاذة عن الكتاب والسنة ولا يسميون سمع عن الكتاب والرواية ورأياً ولا قيمة. ولذكر عاصم من روى كتاب علي ليعلم موقفه من صيانة السنة من اصياع

١- روى أبو بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كنت عنده فدعا بالجمعة فطرقها أبو جعفر عليه السلام فإذا فيها المرأة تموت وتترك روحها ليس لها وارث غيره قال: فله المال كله^(١).

٢- روى أبو بصير المرادي قال: سألت أبا عبد الله عن شيء من اعتراض، فقال: ألا أخرج لك كتاب علي عليه السلام - إلى أن قال: - فأخرجه فإذا كتاب جليل وإذا فيه: رجل مات وترك عنه وحاله فقال: للعلم الثلث وللحال الثلث^(٢).

٣- روى عبد الملك بن أعين قال: دعا أبو جعفر بكتاب علي عليه السلام به جعفر مثل فخذ الرجل مطوياً فإذا فيه: إن ساء ليس من عمار الرجل - إذا هو توفي عنها - شيء فقال أبو جعفر عليه السلام: هذ، والله حفظ علي بيده وإملاء رسول الله^(٣).

(١) الصغار، بصائر الدرجات، ١٤٥.

(٢) الكليسي، الكافي، ١١٩-٧.

(٣) البحر العاملي، وسائل الشيعة ١٧ ٥٢٢، الباب ٦ من أبواب ميراث الأرواح.

٤ - روى محمد بن مسلم التقي: قال: أقرأني أبو جعفر كتاب المراتب التي هي إملاء رسول الله وخط علي فإذا فيها أن السهام لا تعول^(١)

٥ - روى عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً فاحتلفا في شيء فقال أبو جعفر يا بني قم فأخرج كتاب علي، فأخرج كتاباً مدرجاً عظيماً وفنعه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خط علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

وهذه الروايات تكشف عن أن كتاب الفرائض الذي ذكر لعلي عليه السلام كان جزءاً من كتابه الكبير.

٦ - روى ابن بكير قال: سأل زرارة أبا عبد الله عليه السلام عن الصلاة في الثعالب والسنجاب وغيره من الوبير فأخرج كتاباً زعم أنه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الصلاة في وبر كل شيء حرام أكده فالصلاة في وبره وشعره وجلده، ويوله وروثه وألبانه وكل شيء منه فاسد لا تقبل تلك الصلاة حتى تصلي في غيره مما أحل الله أكله

١١. الطوسي، بهديب الاحكام ٩ ٢٤٧. والبحر العملي، وسائل الشيعة ١٧

٤٢٣ الباب ٦ من أبواب موجبات الارث المحذية ١١.

٢١. روه الحاشي في رجاله في ترجمة محمد بن عذافر بن عيسى الصيرفي

المعاني ٢ ٢٦٠، رقم ٩٦٧

ثم قال يا درارة هذا عن رسول الله (١).

وقد اقتصرنا على هذا المقدار ليعلم أنَّ الكتاب، أودم جامع حديثي، أملاء النبي وكتبه الإمام علي وكان الكتاب موجوداً بين أئمة أهل البيت يرثه كابر عن كابر، يصدرون عنه في الإفتاء وشاهده غير واحد من أصحاب الجوامع الحديثية كالكنيني، ولصدوق واطلوسي، قسماً كبيراً منه وفرقوا أحاديثه على أبواب كتبهم على الترتيب المألوف، وقد جمعها العلامة المحجة لشيخ علي لأحمدي في موسوعته (مكاتب الرسول) (٢).

نعم بقي هنا سؤال:

هل هذا الكتاب، نفس الصحيفة التي كانت في قراب سيفه أو غيره؟
الجواب: قد ذكر غير واحد من المحدثين أنه كنت لعلي في قراب سيفه صحيفة لكن الخصوصيات التي ذكرت للكتاب في الروايات تدل مائة بالمائة على أنه غير الصحيفة التي كان يحملها في قراب سيفه، وكيف وقراب السيف لا يسمع إلا أصحانف صغار، مهما لقت وأدرجت فأين هي من المواصفات التي وقعت عليها من أنه كتاب

(١) الكيني الكافي ٣: ٢٩٧ ح ١

(٢) لأحمدي، مكاتب الرسول ١: ٧٢-٧٩

طوها سبعون ذراعاً، أو طوها سبعون ذراعاً في عرض الأديم، أو مثل محمد العالغ^(١) أو أخرج أبو جعفر كتاباً مدرجاً عظيماً، أو كتاباً جليلاً أو هو مثل محمد الرجل مطويّاً، إلى غير ذلك مما مر ذكرها

نعم روى أبو حنيفة، قال سألت علياً عليه السلام هل كن عندكم من النبي ﷺ شيء سوى القرآن؟ قال: والذي فلق الحسيّة وبرا النسيّة، إلّا أن يوتي الله عبداً فهماً في القرآن، وما في لصحيفة، قلت: وما الصحيفة؟ قال: العقل وفكّك الأسير، ولا يقتل مؤمن بكافر^(٢).

إن هذه الرواية مهما صحّت ونقلها أئمة الحديث، لا تقابل ما نقلناه عن أئمة أهل البيت حول كتاب عليّ، ومواصفاته، ومشاهدته جم غفير لهذا الكتاب، وقد نقلنا الرر البير من الكثير، وهذا الحديث وما شابهه في التعبير وضمت لني ما عند عليّ من ودائع النبوة وعلوم النبي ﷺ، والذي يعرب عن ذلك، الاصرار على أنّه ليس عند عليّ سوى كتاب لله أو الصحيفة الموجودة في قراب سيفه، فقد رويها بالعبارة التالية.

أما ما كتبنا عن النبي إلّا القرآن وما في هذه الصحيفة

(١) الكبيسي الزكامي ٦: ٢٤١. العالغ. الجبل الصمخ دو الساميين.

(٢) الإمام أحمد، المسند ١: ٧٩.

ب - من رعم أن عندما شيئاً نقرأه إلا كتاب الله و هذه لصحفة فقد كذب.

ح - ما حصا رسول الله ﷺ بشيء لم يخص به الناس إلا ما في قرب سبي هذا

د - ما عهد إلي رسول الله ﷺ شيئاً خاصاً دون الناس إلا شيء سمعته، وهو في صحيفة قراب سبي^(١).

و غير ذلك من التعابير الهادفة إلى سبي علمه بشيء إلا بالكتاب و لصحيفة الصغيرة.

نحن نفرض الطرف عما ذكرنا. فلو صح ما في هذه الرواية، فما معنى قوله ﷺ لعلي، أبا مدينة العلم وعليّ بابها، وقد نقل كثير من الحفاظ و لحدّثين، وهذا شمس الدين المالكي يذكره في شعره بقوله:

وقال رسول الله ﷺ في مدينة من العلم وهو الباب والباب مقصود

وقد رواه من الحفاظ والأئمة فقيل ربما يأسر مائة وثلاثة وأربعين شخصاً^(٢) وقد ذكروا حول الحديث كلمات تعرب عن

(١) لاحظ المصادر التالية: أحمد بن حنبل، المسند ١: ٨١، ١٠٠، ٢: ١١٠
من كثير، البداية والنهاية ٥: ٢٥١، مسلم الصحيح ٤: ٢١٧.

(٢) لاحظ التفسير ٦: ٦١، ٧٧

مصاد الحديث.

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكسبي الشافعي (المتوفى ٦٥٨هـ): قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته تتمصيل عليّ عليه السلام وزيادة علمه وغزارته، وحيدة فهمه ووفور حكمته، وحسن قصاياه، وصحة فتواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام ويأخذون بقوله في التقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفور فضله، وبرصانة عقله، وصحة حكمه، وليس هذا الحديث في حقه بكثير، لأن رتبته عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين أجل وأعلى من ذلك^(١).

وقال فضل بن روزهان في ضمن رده على حجاج العلامة بأعلمية أمير المؤمنين مجدي: أفضاكم عليّ. و. أنا مدينة العلم، من طريق الترمذي، قال ما هذا نصه: وأما ما ذكره المصنف من علم عليّ فلا شك في أنه من علماء الأمة، والناس محتاجون إليه فيه وكيف لا، وهو وصي النبي في إيلاخ العلم وودائع حقائق المعارف، فلا راع لأحد فيه، وما ذكره من صحيح الترمذي صحيح^(٢).

وقال المناوي في فيض القدير تفسيراً لقوله عليه السلام: عليّ عية

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ١٩٥

(٢) دلائل الصدق ٣: ٥٦٥ ط مصر

علمي: أي مقلده استقصاحي وخاصتي وموضع سرّي، ومعدن
عائسي والعينة: ما يحرز الرجل فيه نفائسه قال ابن دريد وهذا
من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل بشيء رده
خصاصه بأموده الباطنة التي لا يطلع عليها أحد غيره، وذلك
غاية في مدح علي^(١).

وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال: كنا نتحدث معاشر
أصحاب رسول الله ﷺ إن النبي ﷺ عهد إلى عليّ سبعين، لم
يعهدا إلى غيره^(٢).

ورواه القندوزي في مناقبه ثمانين عهداً مكان سبعين^(٣).

فقد خرجنا بالنتائج التالية.

١- إن كتاب عليّ من إملاء رسول الله وخطّ عليّ.

٢- إن الكتاب أول جامع حديثي قام بكتابته عليّ لتدوين
سنة وصيانتها من الضياع.

٣- كانت في قرابة سيف عليّ صحيفة، ولكن لم تكن هي الشيء
الوحيد عند عليّ، وإن كتاب عليّ - حسب ما مرّ من الموصفات -

(١) السأوي، فيص التقدير ٤: ٢٥٦.

(٢) الطبراني، المعجم الصغير ٦٩.

(٣) القندوزي، مناقب المودة ٨٩.

غير تلك الصحيفة

٤- إذا كان عليّ هو باب علم النبي، والمحاكم الروحي في عصر الخلفاء وما بعده فليزم أن يكون عنده ودائع السيوف، وجميع ما تحتاج إليه الأمة في محال الأحكام.

٢- مصحف فاطمة

لا شك أنه كان عند فاطمة مصحفاً، حسب ما تصافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً محققاً بالقرآن، حتى تخصص بنت المصطفى بقرآن خاص، وإنما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

المصحف: من أصحف، بمعنى ما جعل فيه الصحف وإنما سمى المصحف مصحفاً لأنه جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين يديين ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقرآن في عصر نزوله، وإنما صار علماً به بعد رحيل رسول الله ﷺ قال السيوطي: روى ابن أسننه في كتاب المصاحف أنه لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السفر؛ وقال بعضهم المصحف فإن الحبيشة يستوفيه المصحف قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب

الله وسماه المصحف^(١).

وأما ما هو واقع هذا الكتاب، فقد كشف عنه الرويات
لخصاصه عن أئمة أهل البيت، وقد جمع قسماً كبيراً منها العلامة
لشيخ مصطفى قصر الحاملي في دراسته كتاب عليّ ومصحف
فاطمة.

وإنك بعصها:

روى أبو عبيدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: .. إن فاطمة مكثت
بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد
على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عراها على أبيها،
ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويعبرها بما يكون
بعدها في ذريتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف
فاطمة^(٢).

روى أبو حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مصحف فاطمة ما فيه
شيء من كتاب الله وإنما هو شيء ألقى إليها بعد موت أبيها صلوات
الله عليها^(٣).

(١) السيوطي، الاختار في علوم القرآن ١: ١٨٥.

(٢) الكشي، الكافي ١: ٢٤١.

(٣) الصمد، بصائر الدرجات ١٦٥، ط مكتبة المرعشي.

ولعجب أن الدس الإعلامي قد اتخذ لفظ مصحف فاطمة
 دريعة لاتهم الشيعة بأن عندهم قرأناً يسمى مصحف فاطمة،
 وقد سمى غير واحد من دعاة التفرقة إلى بشر تلك الفكرة
 الخاطئة بين المسلمين، ولكن خاب سعيهم، فإن الحق دولة،
 والباطل جولة.

ولعل القارئ يسأل نفسه عن كون فاطمة محدثة محدثها
 الملائكة كما ورد في الرواية السابقة، غير أن فاطمة عليها السلام لا تقل شأناً
 عن مريم البتول، ولا عن امرأة الخليل. قال سبحانه: ﴿وإذ قالت
 الملائكة يا مريم إن لله أسطفاك وطهرك وأصفاك على نساء العالمين﴾
 آل عمران/ ٤٢، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في سورتي آل
 عمران، ومريم.

وهذه امرأة إبراهيم تسمع كلام الملك، يقول سبحانه: ﴿ولقد
 جاءك رسلنا إبراهيم بالبخسرى. وامرأته قائمة فضججت فبشّرنا
 بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب﴾ قالت يا ويلقى آللد وأنا عجوز وهذا
 بغلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب﴾ قالوا اتصحين من أمر الله رحمت الله
 وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ (هود/ ٦٩-٧٣).

فإذا كانت مريم وامرأة الخليل محدثتين، ففاطمة سيده ساء
 العالمين أولى بأن تكون محدثة.

٣ - ما هو مصدر روايات أئمة أهل البيت؟

هذا هو السؤال الثالث من الاسئلة الثلاثة المطروحة حول الحائمة لدى الشيعة فنقول:

إنّ لعلوم أئمة أهل البيت مصادر مختلفة ونشير الى، صورها
تاركين البحث في فروعها.

أ - النقل عن آبائهم عن رسول الله ﷺ

إنّهم ﷺ كثيراً ما يروون الحديث عن آبائهم عن رسول الله ﷺ
معنعاً، من دون أن يتوسط بين الأسانيد شخص بين آبائهم
وأجدادهم.

إنّ عليّ بن موسى الرضا لما ترك نيسابور عارماً إلى مرو،
اجتمع حوله لفوف من المحدثين، فطلبوا منه أن يحدثهم بحديث
جده ﷺ، فقال:

حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر الصادق،
قال حدثني أبي أبو جعفر الباقر، قال: حدثني أبي عليّ بن الحسين،
قال حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي عليّ بن أبي
طالب، قال: حدثني رسول الله ﷺ عن جبرئيل عليه السلام عن الله قال: لا إله
إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي^(١).

إن هذا النوع من الأحاديث متوفر في الجوامع الحديثية للشيعه، فلو قام باحث يجمع هذا النوع الذي يروي فيه كابر عن كابر والإمام بعد الإمام لبلغ موسوعة كبيرة.

هذا هو هشام بن سلمان، وحماد بن عثمان، وغيرهما من أصحاب الإمام الصادق، قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله عز وجل (١).

ب - النقل عن كتاب علي

إن أئمة أهل البيت كانوا يستندون إلى كتاب علي ويحتجون به، فكان الكتاب أحد مصادر علومهم التي يصدر عنهم، وقد وقعت على قسم قليل منها.

ج - الإلهام أو تحديث الملائكة

إن أئمة أهل البيت حسب النصوص محدثون، تحدثهم الملائكة،

(١) الكليسي الكامي ٥٣/١ برقم ١٤.

كما كانت تحدّث مريم البتول وامرأة الخليل، فما كان يحبرون به من الملاحم أو يحييون عن الأسئلة فالكُلّ مما كان يلقي في روعهم وهذا لتوع من المصدر وإن كان ثقيلاً على من لم يعرف مقاماتهم، إلا أنه صحيح لمن درس حياتهم، ووقف على أحوالهم ولأجل إيفاف القارئ على أن المحدث أمر بما اتفق عليه لأعلام نبهت عنه على وجه الإيجاز:

المُحدّث في الإسلام:

المحدث بصيغة المفعول: من تكلمه الملائكة بلا نبوة ولا رؤية صورة أو يلهم له ويلقى في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو ينكت له في قلبه من حقائق تحصى على غيره.

المحدث بهذا المعنى ممن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنة، ولو كان هناك خلاف فإثما هو في مصداقه.

وقبل ذلك عهد المحدث في الأمم السالفة، فهذا صاحب موسى كان محدثاً، فقد أخبره عن مصير السفينة والغلام والجدار على وجه حاء في سورة الكهف^(١) فهو لم يكن نبياً ولكنه كان عارفاً

سيحدث وقد عرفه بإحدى الطرق المذكورة.

وهذه مريم البتول. كانت الملائكة تكلمها وتحدثها ولم تكس بيته، قال سبحانه:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/ ٤٢).

وقال سبحانه:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَبِمَنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل
عمران/ ٤٥).

وهذه أم موسى يلقى في روعها ويوحى إليها ولم تكن بيته، قال
سبحانه:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَتَيْهِ فِي التَّيْمِ
وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾
(التقصص/ ٧٧).

وأما السنة النبوية ففيها تصريح بأن في الأمة الإسلامية - بظفر
الأمم السالفة - رجالاً يكلمون من دون أن يكونوا أنبياء، وإليك
بعض هذه النصوص:

١ - أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال قال النبي

لقد كان فيهم من كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمّتي منهم أحد فعهربن الخطاب^(١)

٢ - أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً أنه قد كان فيا ماضي قبلكم من الأمم محدثون. إن كان في أمّتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب^(٢).

قال القسطلاني في شرح الحديث. يجري على ألسنتهم الصواب من غير نبوءة وقال الخطّابي. يلقي الشيء في روعه فكأنه قد حدّث به. يظنّ نهضيب ويخطر الشيء بباله فيكون وهي منزلة رفيعة من منازل الأولياء^(٣).

٣ - أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة عن النبي قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمّتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم، قال ابن وهب: تفسير «محدثون» ملهون.

قال لنووي في شرح صحيح مسلم: اختلف العلماء في تفسير المراد به (محدثون) فقال ابن وهب: ملهون. وقيل: مصيبون. و طرو فكأنهم حدّثوا بشيء فظنّوه. وقيل تكلمهم الملائكة وجاء

(١) البخاري ٢: ١٩٤ باب مناقب عمر بن الخطاب

(٢) البخاري ٢: ١٧١. بعد حديث الفار

(٣) القسطلاني إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ٥: ١٣١، انظر أيضاً ٦

في روايه مكلّمون وقال البخاري: يجري الصواب على السبهم
وعنه، كرامات الأولياء^(١).

ومن راجع شروح الصحيحين يجد نظير هذه الكلمات بوفرة؛
والرأي السائد في تفسير المحدث هو تكليم الملائكة والإلقاء في
الروح هذا ما لدى السنّة، وأمّا الشيعة، فعندهم أخبار عن أنعمهم
تصرّح بأنهم محدثون وفي الوقت نفسه ليسوا بأسياء.

روى الكليني في باب الفرق بين الرسول والسبي والمحدث
أحاديث أربعة:

قال: المحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة، وفي رواية
أخرى سألته عن الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى
ولا يعاين الملك.

إلى غير ذلك من الروايات المصرّحة بأنّ الأئمة الاثني عشر
محدثون^(٢).

روى الصغار في بصائر الدرجات عن يزيد: قلت لأبي جعفر
وأبي عبد الله عليهما السلام ما منزلتكم بمن تشبهون بمن مضى؟

فقال: كصاحب موسى وذوي القرنين كانا عالمين ولم يكوما

١١، الووي، شرح صحيح مسلم ١٥ ١٦٦.

(٢) الكليني، الكافي ١ باب الفرق بين الرسول والسبي والمحدث ١٧٦.

ببين^(١).

هذا ما لدى الفريقين وبذلك يُقَلَّمُ أَنَّ الإخبار عن العيب بإذن من الله سبحانه لا يلزم كون الخبر نبياً، وإنَّ تَكَلُّمَ ملائكة مع إنسان لا يصلح دليلاً على كونه مبعوثاً من الله سبحانه للنبوة.

ولو اعتمدت الشيعة على علم الأنعة لأجل كونهم واثقين لعلم النبي ووارثين لما عند علي من الكتب التي كتبها بإملاء من رسول الله، ومحدثين تلقى في روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدل عن أنهم أنبياء ومن نسبهم إلى تلك القرية الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم، فقد ضلَّ عن سواء السبيل، ولم يفرق بين النبوة والرسالة والتحدث.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الصغار: يصائر الدرجات ٨: ٣٧٨.

فهرس الموضوعات

٧

تقديم. ملاح الشريعة الإسلامية

الفصل الأول.

الخاتمة في الذكر الحكيم

- ١- وحدة الشرائع السماوية في الأصول واختلافها في المروع ١٠
- ٢- النص الأول على الخاتمة قوله سبحانه ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحراب/ ٤٠) ... ١٥
- ٣- الخاتم بالكسر والخاتم بالفتح تحقيق حول معنى الخاتم ١٦
- ٤- النص الثاني على الخاتمة قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان/ ١) ١٨

- ٥ - النص الثالث على الخاتمية قوله سبحانه: ﴿... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...﴾ (صلى/٤١-٤٢) ١٩
- ٦ - النص الرابع على الخاتمية قوله سبحانه: ﴿... وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ...﴾ (الأنعام/١٦٦) ٢١
- ٧ - النص الخامس على الخاتمية قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَافِظًا لِلنَّاسِ...﴾ (سبا/٢٨) ٢١
- ٨ - حصيلة الآيات الخمس في المقام ٢١

الفصل الثاني:

الخاتمية في الأحاديث النبوية

- اثنا عشر حديثاً حول الخاتمية ٢٥
- الخاتمية في روايات أئمة أهل البيت ٢٩

الفصل الثالث:

أسئلة حول الخاتمية

السؤال الأول:

- استظهار بقاء شرعية الشرايع السماوية من بعض الآيات ٢٣
- نقد الاستظهار وبيان هدف الآيات ٣٤
- الأسماء والالتناء ليسا ملاك النجاة بل ملاك الايمان والعمل الصالح ٣٨

السؤال الثاني:

لماذا ختمت النبوة التبليغية؟ ٣٩

السؤال الثالث:

لماذا حرم المخلف من الاتصال بعالم الغيب ٤٠

السؤال الرابع:

إدعاء النقص في التشريع الإسلامي ٤١

خلود التشريع الإسلامي رهن أمرين ٤١

الاعتراف بحجية العقل، وتبعية الأحكام للمصالح ٤٢

التشريع الإسلامي ذا مادة حيوية خلاقة ٤٧

تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابه ٤٨

حقوق المحاكم الإسلامي، ومرونة التشريع ٤٩

الدعوة إلى المادة والروح، والنظر إلى المعاني دون

الظواهر ٥١

الأحكام التي لها دور التحديد ٥٢

السؤال الخامس:

القوانين الثابتة والحياة المتطورة ٥٣

الجانب الثابت في حياة الإنسان ٥٤

الجانب المتغير في حياته ٥٦

نماذج من الأحكام المتغيرة حسب تغير الظروف ٥٩

خاتمة المطاف:

الشيعة والخاتمية

السؤال الأول:

- ٦٥ الخاتمية وكتاب علي وموقفه منها
- ٦٦ كتاب علي، جامع حديثي أملاء رسول الله ﷺ وكتبه علي
- ٧٠ مواصفات علي كتاب علي عليه السلام
- ٧٣ نماذج من الروايات الواردة في كتاب علي عليه السلام
- ٧٥ كتاب علي عليه السلام غير الصحيفة الموجودة في قراب سيفه
- نقد ماروي عنه من أنه ليس عنده إلا القرآن وما في يده من
٧٦ الصحيفة

السؤال الثاني:

- ٨٠ مصحف فاطمة وما يُراد به
- ٨٢ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت محدثة

السؤال الثالث:

- ٨٣ مصدر روايات أئمة أهل البيت
- مصادر رواياتهم ثلاثة:
- ٨٣ الرواية عن رسول الله عن طريق آياتهم
- ٨٤ النقل عن كتاب علي عليه السلام
- ٨٤ الالتقاء في روعهم

المحدث في الإسلام وكلمات أعلام السنة ٨٥

روايات الشيعة حول المحدث ٨٨

الحمد لله رب العالمين

